وكذلك في عهد الاوزاعي بالشام ، وسفيان الثوري بالعراق ، ومالك بن أنس بالحجاز ، ومعمر باليمن على مافسرنا وبينا أن الإيمان قول وعمل ، يزيد وينقص .

وقال اسحاق : من ترك الصلاة متعمداً حتى ذهب وقتها ، الظهر الى المغرب ، والمغرب الى نصف الليل ، فانه كافر بالله العظيم ، يستاب ثلاثة أيام ، فإن لم يرجع وقال : تركها كفراً ، ضربت عنقه ، يعني تركها وقال ذلك ، وأما اذا صلى وقال ذلك ، فهذه مسألة اجتهاد . قال : واتبعهم على ماوصفنا من بعدهم من عصرنا هذا أهل العلم ، الا من باين الجماعة ، واتبع الأهواء المختلفة ، فأولئك لايعبأ الله بهم لما باينوا الجماعة .

قوله : ويزيد بالطاعات قطعاً الخ ؛ اي : أن أهل السنة والحديث ، على أن الايمان يتفاضل ، وجمهورهم يقول : يزيد وينقص ، ومنهم من يقول : يزيد ، ولا ينقص ، كما روي عن مالك في احدى الروايتين ، ومنهم من يقول : يتفاضل ، كعبد الله بن المبارك ، وقد ثبت لفظ الزيادة والنقصان منه عن الصحابة ، ولم يعرف فيه مخالف منهم ، فروى الناس من وجوه كثيرة مشهورة عن حماد بن سلمة ، عن ابي جعفر ، عن جده عمير بن حبيب وهو من أصحاب رسول الله ﷺ قال : الايمان يزيد وينقص. قيل له : وما زيادته ونقصانه ؟ قال : إذا ذكرنا الله وحمدناه وسبحناه ، فتلك زيادته ، واذا غفلنا ونسينا ، فتلك نقصانه .

وروى اسماعيل بن عياش عن جرير بن عثمان عن الحارث بن محمد ، عن أبي الدرداء ، قال : الايمان يزيد وينقص . وقال احمد بن حنبل : ثنا يزيد ، ثنا جرير بن عثمان قال : سمعت أشياخنا أو بعض أشياخنا أن أبا الدرداء ، قال : من فقه العبد أن يتعاهد إيمانه ، وما ينقص منه ، ومن فقه العبد أن يعلم أيزداد

إيمانه ، أم ينقص ؟ وأن من فقه الرجل أن يعلم نزغات الشيطان أنى تأتيه ؟

وروى أسماعيل بن عياش، عن صفوان بن عمرو ، عن عبد الله بن ربيعة الحضرمي ، عن أبي هريرة قال : الايمان يزيد وينقص . وقال أحمد بن حنبل : ثنا يزيد بن هارون ، ثنا محمد بن طلحة ، عن زبيد ، عن ذر قالا : كان عمر بن الخطاب يقول لاصحابه : هلموا نزدد إيمانا ، فيذكرون الله عز وجل . وقال أبو عبيد : في « الغريب » في حديث علي: إن الايمان يبدو لمظة في القلب، كلما ازداد الايمان ، ازدادت اللمظة . وروي ذلك عن عثمان بن عبد الله بن عمرو بن هند الجملي عن علي قال . الأصمعي اللحظة مثل النكتة أو نحوها .

وقال أحمد بن حنبل : ثنا وكيع ، عن شريك ، عن هلال ، عن عبد الله ابن عكيم قال : سمعت ابن مسعود يقول في دعائه : اللهم زدنا إيمانا وايقانا وفقها .

وروى سفيان الثوري عن جامع بن شداد ، عن سواد بن هلال قال : كان معاذ بن جبل يقول للرجل : اجلس بنا نؤمن ساعة نذكر الله تعالى. وروى ابو اليمان : ثنا صفوان ، عن شريح بن عبيد أن عبد الله بن رواحة كان يأخذ بيد الرجل من اصحابه يقول : قم بنا نؤمن ساعة ، فنجلس في مجلس ذكر . وهذه الزيادة قد ذكرها الصحابة ، وأثبتوها بعد موت النبي ﷺ ونزول القرآن كله . وصح عن عمار بن ياسر أنه قال : ثلاث من كن فيه فقد استكمل الايمان . الانصاف من نفسه ، والانفاق من الاقتار ، وبذل السلام للعالم . ذكره البخاري عنه في « صحيحه » وقال جندب بن عبد الله : وابن عمر وغيرهما : تعلمنا الإيمان ، تعلمنا القرآن ، فازددنا إيماناً . والآثار في هذا كثيرة ، رواها المصنفون في هذا الباب عن

الصحابة والتابعين في كتب كثيرة معروفة . وقال الحافظ ابو عمر بن عبدالبر في « التمهيد » أجمع أهل الفقه والحديث على أن الايمان . قول وعمل ، ولا عمل إلا بنيـــة ، والإيمان عندهم يزيد بالطاعات ، وينقص بالمعصية ، الطاعات كلها عندهم ايمان ، إلا ما ذكر عن أبي حنيفة و أصحابه ، فإنهم ذهبوا الى أن الطاعات لا تسمى إيماناً قالوا : انما الايمان التصديق والإقرار ، ومنهم من زاد المعرفة ، وذكر ما احتجوا به ... الى أن قال : وأما سائر الفقهاء من أهل الرأي والآثار بالحجاز ، والعراق والشام ، ومصر ، منهم مالك بن أنس ، والليث بن سعد ، وسفيان الثوري ، والاوزاعي ، والشافعي ، وأحمد بن حنبل ، واسحاق بن راهويه ، وأبو عبيد القاسم بن سلام ، وداود بن علي ، والطبري ، ومن سلك سبيلهم ، فقالوا : الايمان قول وعمل ، قول باللسان وهو الإقرار ، واعتقاد بالقلب ، وعمل بالجوارح مع الاخلاص بالنية الصادقة ، قالوا : وكل ما يطاع الله عز وجل به من فريضة ونافلة ، فهو من الايمان ، والايمان يزيد بالطاعات ، وينقص بالمعاصي ، وأهل الذنوب عندهم مؤمنون غير مستكملي الإيمان من أجل ذنوبهم ، وإنما صاروا ناقصي الإيمان بارتكابهم الكبائر . ألا ترى قوله ﷺ « لايزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ... » الحديث [١] يريد مستكمل الايمان ، ولم يرد به نفي جميع الايمان عن فاعل ذلك ، بدليل الاجماع على توريث الزاني ، والسارق ، والشارب للخمر إذا صلوا الى القبلة ، وانتحلوا دعوة الإسلام ، من قراباتهم المؤمنين الذين ليسوا بتلك الأحوال ، واحتجوا على ذلك ، ثم قال : وأكثر أصحاب مالك قالوا : إن الايمان والاسلام شيء واحد ، قال:

---

(١) متفق عليه من حديث ابي هريرة رضي الله عنه .

وأما قول المعتزلة ، فالإيمان عندهم جماع الطاعات ، ومن قصر عن شيء منها فهو فاسق ، لامؤمن ، ولا كافر ، وهؤلاء هم المحققون بالاعتزال أصحاب المنزلة بين المنزلتين ... الى أن قال : وعلى أن الايمان يزيد وينقص يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية جماعة أهل الأثر ، والفقهاء من أهل الفتيا في الامصار .

وروى ابن القاسم عن مالك أن الايمان يزيد ، وتوقف في نقصانه . وروى عنه عبد الرزاق ، ومعن بن عيسى ، وابن نافع أنه يزيد وينقص ، وعلى هذا مذهب الجماعة من أهل الحديث والحمد لله . ثم ذكر حجج المرجئة ، ثم حجج أهل السنة ، ورد على الخوارج التكفير بالحدود المذكورة للعصاة في الزنا والسرقة ، ونحو ذلك ، وبالموارثة . وبحديث عبادة بن الصامت من أصاب ذلك شيئاً فعوقب به في الدنيا فهو كفارة له . وقال : الايمان مراتب ، بعضها فوق بعض ، فليس ناقص الايمان كـكامل الايمان . قال الله تعالى : (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) الى قوله : (أولئك هم المؤمنون حقاً) الأنفال : ٢-٤ وكذلك قوله ﷺ « المؤمن من أمنه الناس ، من المسلم سلم الناس من لسانه ويده »[١] اي حقاً ، ومن هذا قوله « اكمل المؤمنين إيماناً »[٢] ومعلوم أن هذا لايكون أكمل حتى يكون غيره أنقص . وقوله:

---

(١) رواه احمد والترمذي والنسائي والحاكم وابن حبان بلفظ « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمؤمن من امنه الناس على دمائهم واموالهم ». وروى البخاري ومسلم الفقرة الأولى من هذا الحديث ،

(٢) ورد هذا الحديث بلفظ « اكمل المؤمنين ايماناً احسنهم خلقاً » رواه احمد ، وابو داود ، والترمذي وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وهو حديث صحيح له طرق كثيرة .

« أوثق عرى الايمان : الحب في الله ، والبغض في الله »[١] وقوله : «لاايمان لمن لاامانة له »[٢] يدل على ان بعض الايمان أوثق وأكمل من بعض ، وذكر الحديث الذي رواه الترمذي وغيره «من أحب لله وأبغض لله ..»[٣] الحديث. وكذلك ذكر أبو عمر الطلمنكي إجماع أهل السنة على أن الايمان قول ، وعمل ، ونية ، واصابة السنة . ومن حجج الجهمية على ان الأعمال ليست من الايمان أنهم قالوا: ان القرآن نفى الايمان عن غيرهؤلاء كقوله تعالى (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ...) الأنفال : ٢ — ٤ الايات. ولم يقل :ان هذه الاعمال من الايمان قالوا : فنحن نقول : من لم يعمل هـذه الأعمال لم يكن مؤمناً ، لأن انتفاءها دليل على انتفاء العلم من قلبه .

والجواب عن هذا من وجوه :

أحدها : أنهم سلموا أن هذه الأعمال لازمة لايمان القلب ، فإذا انتفت لم يبق في القلب ايمان ، وهذا هو المطلوب ، وبعد هذا فكونها لازمة أو جزء، نزاع لفظي :

الثاني : أن نصوصاً صرحت بأنها جزء كقوله : «الايمان بضع وسبعون شعبة ، أو ست وسبعون شعبة» .[٤]

---

(١) رواه احمد في « المسند » عن البراء بن عازب . والطبراني في « الكبير » عن ابن عباس وفي « الصغير » عن ابن مسعود ، وهو حديث حسن.

(٢) رواه احمد في « المسند » وابن حبان ، والطبراني في«الأوسط » و«الصغير» وهو حديث حسن .

(٣) رواه ابو داود في « سننه » وسنده حسن . وتمامه « واعطى لله ومنع لله فقد استكمل الايمان .

(٤) اخرجه الشيخان ، ولفظ :ست وسبعون شعبة،من رواية ابي عوانة في صحيحه .

الثالث : أنكم إن قلتم بأن من انتفى عنه هذه الأمور فهو كافر خال من كل ايمان ، كان قولكم قول الخوارج ، وأنتم في طرف ، والخوارج في طرف ، فكيف توافقونهم في هذه الأمور ؟! ومن هذه الأمور إقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، والحج ، والجهاد ، والإجابة الى حكم الله ورسوله وغير ذلك مما لا تكفرون تاركه ، وان كفرتموه كان قولكم قول الخوارج .

الرابع : ان قول القائل إن انتفاء بعض هذه الاعمال يستلزم أن لا يكون في قلب الانسان شيء من التصديق بأن الرب حق ، قول يعلم فساده بالاضطرار .

الخامس : أن هذا إذا ثبت في سائر الواجبات ، فيرتفع النزاع المعنوي . ومن حججهم العقلية أيضاً أن الشيء المركب إذا زال بعض أجزائه لزم زواله كله ، ولهذا لما صنف الفخر الرازي « مناقب الامام الشافعي » ذكر قوله في الايمان ، وقول الشافعي قول الصحابة والتابعين ، وقد ذكر الشافعي أنه إجماع الصحابة والتابعين ، فاستشكل الرازي قول الشافعي جداً ، لأنه كان قد انعقد في نفسه شبهة أهل البدع في الايمان من الخوارج ، والمعتزلة ، والجهمية ، والكرامية ، وسائر المرجئة ، وهو أن الشيء المركب إذا زال بعض اجزائه لزم زواله كله ، لكن هو لم يذكر الاظاهر شبهتهم .

قال شيخ الاسلام رحمه الله : والجواب عما ذكره هو سهل ، فانه يسلم له أن الهيئة الاجتماعية لم تبق مجتمعة كما كانت ، لكن لا يلزم من زوال بعضها زوال سائر الاجزاء . والشافعي مع الصحابة والتابعين وسائر السلف يقولون : إن الذنب يقدح في كمال الايمان ، ولهذا نفى الشارع الايمان عن هؤلاء ، فذلك المجموع الذي هو الايمان لم يبق مجموعاً مع

الذنوب ، لكن يقولون بقي بعضه ، إما أصله وأكثره ، وإما غير ذلك ، فيعود الكلام إلى أنه يذهب بعضه ، ويبقى بعضه . ولهذا كانت المرجئة تنفر من لفظ النقص أعظم من نفرتها من لفظ الزيادة ، لأنه إذا نقص لزم ذهابه كله عندهم ، إن كان متعدداً متبعضاً عند من يقول بذلك ، وهم الخوارج ، والمعتزلة . وأما الجهمية فهو واحد عندهم ، لا يقبل التعدد ، فيثبتون واحداً لا حقيقة له ، كما قالوا مثل ذلك في وحدانية الرب ، ووحدانية صفاته عند من أثبتها منهم . ومن العجب أن الاصل الذي أوقعهم في هذا الاعتقاد ، اعتقادهم أنه لا يجتمع في الانسان بعض الايمان ، وبعض الكفر ، او ما هو ايمان ، وما هو كفر ، واعتقدوا أن هذا متفق عليه بين المسلمين ، كما ذكر ذلك ابو الحسن وغيره ، فلأجل اعتقادهم هـذا الاجماع وقعوا فيما هو مخالف للاجماع الحقيقي ، اجماع السلف الذي ذكر غير واحد من الأئمة ، بل وصرح غير واحد منهم بكفر من قال بقول جهم في الايمان . انتهى المقصود من كلامه . وقد بسط رحمه الله الكلام في الايمان ، وكلام الناس فيه ، ومالهم وعليهم في كتاب «الايمان» الكبير ، فمن أراد ذلك فليراجعه ، والله أعلم .

قولـــه : العمران ، يعني أبا بكر وعمر رضي الله عنهما ، وهذا من باب التغليب ، كما قالوا : سيرة العمرين .

فصل

في عهود المشبين مع رب العالمين

ياناصر الاسلام والسنن التي جاءت عن المبعوث بالفرقان
يامن هو الحق المبين وقوله ولقاؤه ورسوله ببيان
اشرح لدينك صدر كل موحد شرحاً ينال به ذرى الايمان
واجعله مؤتماً بوحيك لا بما قد قاله ذو الافك والبهتان
وانصر به حزب الهدى واكبت به حزب الضلال وشيعة الشيطان
وانعش به من قصده إحياؤه واعصمه من كيد امرىء فتان
واضرب بحقك عنق أهل الزيغ والتبديل والتكذيب والطغيان
فوحق نعمتك التي أوليتني وجعلت قلبي واعي القرآن
وكتبت في قلبي متابعة الهدى فقرأت فيه أسطر الايمان
ونشلتني من حب أصحاب الهوى بحبائل من محكم الفرقان
وجعلت شربي المنهل العذب الذي هو رأس ماء الوارد الظمآن
وعصمتني من شرب سفل الماء تحـ ـت نجاسة الآراء والأذهان

وحفظتني مما ابتليت به الألى حكموا عليك بشرعة البهتان
نبذوا كتابك من وراء ظهورهم وتمسكوا بزخارف الهذيان
وأريتني البدع المضلة كيف يلـ ـقيها مزخرفة الى الانسان
شيطانه فيظل ينقشها له نقش المشبه صورة بدهان
فيظنها المغرور حقاً وهي في التـ ـحقيق مثل الآل في القيعان
لأجاهدن عداك ماأبقيتني ولأجعلن قتالهم ديداني
ولأفضحنهم على روس الملا ولأفرين أديمهم بلسان
ولأكشفن سرائراً خفيت على ضعفاء خلقك منهم ببيان
ولأتبعنهم الى حيث انتهوا حتى يقال أبعد عبّادان

عبّادان بفتح العين وتشديد الباء الموحدة ، وفيه المثل المعروف : ليس وراء عبادان قرية . في « القاموس » عبادان جزيرة أحاط بها شعبتا دجلة ساكبتين في بحر فارس . انتهى .

ولأرجمنهم بأعلام الهدى رجم المريد بثاقب الشهبان
ولأقعدن لهم مراصد كيدهم ولأحصرنهم بكل مكان
ولأجعلن لحومهم ودماءهم في يوم نصرك أعظم القربان
ولأحملن عليهم بعساكر ليست تفر إذا التقى الزحفان
بعساكر الوحيين والفطرات والـ ـمعقول والمنقول بالاحسان

حتى يبين لمن له عقل من الـــأولى بحكم العقل والبرهان
ولأنصحنّ الله ثم رسوله وكتابه وشرائع الإيمان
إن شاء ربي ذا يكون بحوله أو لم يشأ فالأمر للرحمن

قوله : نقش المشبه صورة بدهان . المشبه : المصور ، أي : كما ينقش المصور الصور المنقوشة في الحيطان بالدهـانات من أحمر ، وأخضر ، وأصفر ونحو ذلك .

قال في « القاموس » النقش : تلوين الشيء بلونين أو ألوان ، كالتنقيش . انتهى . قوله : الآل هو السراب .

قوله : القيعان . قال في « القاموس » القـاع : أرض سهلة مطمئنة قد انفرجت عنها الجبال والآكام ، جمع قيع ، وقيعة ، وقيعان بكسرهن ، وأقواع ، وأقوع . انتهى .

قوله : ولأفرين . قال في « القـــاموس » : فراه يفريه شقه فاسداً أو صـالحاً ، كفراه وأفراه . انتهى . يقال : فلان يفري الفرى ، أي : يعمل العمل البالغ .

قوله : المريد ، مرد كنصر ، وكرم ، مروداً ، ومرادة ، فهو مارد ، ومريد ، ومتمرد : « قاموس » .

فصل

في شهادة أهل الاثبات على أهل التعطيل انه ليس في السماء إله يعبد ولا لله بيننا كلام ولا في القبر رسول الله

إنا تحمّلنا الشهادة بالذي ... قلتم نؤديها لدى الرحمن

ماعندكم في الأرض قرآن كلا ... م الله حقاً يا أولي العدوان

كلا ولا فوق السموات العلى ... رب يطاع بواجب الشكران

كلا ولا في القبر أيضاً عندكم ... من مرسل والله عند لسان

هاتيك عورات ثلاث قد بدت ... منكم فغطوها بلا روغان

فالروح عندكمُ من الأعراض قا ... ئمة بجسم الحي كالألوان

وكذا صفات الحي قائمة به ... مشروطة بحياة ذي الجثمان

فاذا انتفت تلك الحياة فينتفي ... مشروطها بالعقل والبرهان

ورسالة المبعوث مشروط بها ... كصفاته بالعلم والإيمان

فاذا انتفت تلك الحياة فكل مشـ ... ـروط بها عدم لدى الاذهان

أقول: رأيت في كتاب « القول المفيد في مدح النظر وذم التقليد » لبعض الشافعية ، ونقلته من خط مصنفه .

قال : قال ابن حزم في كتاب « الملل والنحل » عن الشيخ أبي الحسن الأشعري : إنه يعتقد إذا حاضت الجارية ، أو بلغ الغلام ونبت شعر عانته ولم يعرف الله بالدليل والبرهان ، فكل منهما كافر حلال الدم .

هذا قوله عنه في هذا الكتاب ، وهذا القول في غاية البشاعة ، وما رأيت هذا في كلام أبي الحسن الأشعري . وقد يكون أبو محمد اطلع على مالم أطلع أنا عليه ، فانه لايشك أحد في فضيلته و كثرة علمه ، وانما كان فيه حط على العلماء خصوصاً الأشعري ، فانه ذكر عنه أنه كان يعتقد أن الروح عرض ، وأن الانسان اذا مات لم يبق له وجود ، وسفه ابن حزم هذا الرأي ، وقال: انه يلزم منه خطأ كثير ، وإن سائر الأكابر من الخلق ، من الأنبياء ، والأولياء إذا قال أحد : صلى الله عليهم ، أو رحمهم الله ، كان الكلام فاسداً لاطائل فيه ، لأنهم ليسوا موجودين ، فيكون كل الخلق مجمعين على الباطل ، وهذا الكلام مخالف للكتاب والسنة ، واستشهد على تزييف هذا القول بآيات من الكتاب العزيز ، وأحاديث صحيحة من السنة . وأما آيات الكتاب ، فقوله تعالى : (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون . فرحين بما آتاهم الله من فضله) آل عمران : ١٦٩ — ١٧٠ ولا شك أن أبدانهم موتى مشاهدة بالحس ، فالكلام عن أرواحهم . قال تعالى عن آل فرعون : (النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) غافر : ٤٦ ولا شك أن أجسادهم غرقى موات ، وأكل أكثرهم السمك ، وفنوا ، فهو عن ارواحهم . ومتى قال قائل : إن الموات الجماد أو الفاني يدرك أو يحس ، كان هذا الكلام سفسطة ، ويؤيد ذلك ماورد في السنة الشريفة من قوله ﷺ لما وقف على قليب بدر وفيه جثث المشركين « ياأبا جهل بن هشام ، ياعتبة وربيعه ابني شيبة ، يافلان ، يافلان ، قد وجدنا ماوعدنا ربنا حقاً ، فهل وجدتم ماوعدكم حقا ؟ » قالوا : يارسول الله ، أتخاطب الجمادات ؟ قال : « إنهم لأسمع منكم ، ولكن

لا يستطيعون الكلام »[١] وليس ذلك إلا لأرواحهم . وقوله ﷺ في بعض خطبه « حتى إذا حمل الميت على نعشه ، رفرف روحه فوق النعش يقول : ياأهلي ، وياولدي لا تلعبن بكم الدنيا كما لعبت بي ، جمعت المال من حله ومن غير حله فالمهنأة لغيري ، والتبعة علي ، فاحذروا ماحل بي » فهذا قول الروح والجسد ميت فوق النعش ، فلو كانت الروح عرضاً لعدمت عند عدم الجسم ، فان العرض يبطل ببطلان الحامل له وهو الجسم ، فمتى كان يرفرف ويتكلم بذلك الكلام والجسم ميت؟! قال صاحب « القول المفيد » أقول: ومما يشد كلام ابن حزم أنه ﷺ صلى بالأنبياء ليلة الاسراء ، فلا يخلو إما أن يكون صلى بأرواحهم ، أو بأبدانهم ، لاجائز أن يكون بأبدانهم ، فإن الأبدان موتى مدفونين بالأرض ، فبقي أن يكون بأرواحهم. وان كان يقول : إن الله أحياهم على طريق المعجزة للنبي ﷺ وعليهم أجمعين .

فنقول : إما أن يكون استمروا أحياء، أوعادوا (ماتوا) لايجوز القول بموتهم ، لقوله تعالى عن أهل السعادة (لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الأولى) الدخان : ٥٦ فكيف يمكن أن يموت من وصل بهم أهل السعادة الى مرتبة السعادة مرتين ، وغيرهم مرة واحدة؟! هذا فاسد ، ولا يصح استمرارهم أحياء لقوله ﷺ : « أنا أول من تنشق عنه الأرض »[٢] وقوله عليه السلام : « أنا أول الناس بعثاً يوم القيامة »[٣] فما بقي الا أن يكون صلى بأرواحهم ، والأشعري

---

(١) رواه أحمد والشيخان ، والطبراني وغيرهم بألفاظ متقاربة . وهو حديث صحيح .

(٢) رواه الترمذي بهذا اللفظ ، ورواه مسلم بلفظ « أنا أول من ينشق عنه القبر »

(٣) اورده الحافظ السيوطي في « الجامع الصغير » بلفظ « انا اول الناس خروجاً إذا بعثوا » وقال : رواه الترمذي ورمز له بالضعف .

لايقول بالأرواح على ماذكره عنه ابن حزم ، وأنها عرض ، والعرض يفنى عند فساد الأجسام ، فان العرض وجوده بوجود الجسم ، فاذا فسد الحامل فسد المحمول . انتهى كلامه .

قال الناظم رحمه الله تعالى في كتاب « الجيوش الاسلامية » وهذا القول في النبوة بنـــاء على أصل الجهمية وأفراخهم أن الروح عرض من أعراض البدن ، كالحيـاة ، وصفات الحي مشروطة بها ، فاذا زالت بالموت تبعتها صفاته فزالت بزوالها ، ونجا متأخروهم من هذا الالزام ، وفروا الى القول بحياة الأنبياء عليهم السلام في قبورهم ، فجعلوا لهم معاداً يختص بهم قبل المعـــاد الأكبر ، إذ لم يمكنهم التصريح بأنهم لم يذوقوا الموت ، وقد أشبعنا الكلام على هذه المسألة واستيفـاء الحجج لهم ، وبيان مافي ذلك في كتاب « الكافية الشافية » انتهى .

ونقل الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن رجب في « طبقات الحنـابلة » ترجمة الشيخ أبي الفرج ابن الجوزي أنه قال يوماً على المنبر : أهل البدع تقول : ما في السماء أحد ، ولا في المصحف قرآن ، ولا في القبر نبي ، ثلاث عورات لكم . ونقل الحافظ ابن رجب في ترجمة الامام شيخ الاسلام عبدالله ابن محمد الأنصاري الحنبلي عن محمد بن طاهر قال : سمعت أحمد بن أميرجه القلانسي خادم الأنصاري يقول : حضرت مع الشيخ للسلام على الوزير الطوسي وكان أصحابه كلفوه الخروج اليه ؛ وذلك بعد المحنة ورجوعه من بلخ ، فلما دخل عليه أكرمه وأجله ، وكان في العسكر أئمة من الفريقين في ذلك اليوم وقد علموا أنه يحضر ، فاتفقوا جميعاً على أن يسألوه عن مسألة

بين يدي الوزير ، فان أجاب بما يجيب به بـ(هراة) سقط من عين الوزير ، وإن لم يجب سقط من عيون أصحابه وأهل مذهبه ، فلما دخل واستقر به المجلس انتدب له رجل من أصحاب الشافعي ، يعرف بالعلوي الدبوسي ، فقال : يأذن الشيخ الامام أن أسأل مسألة ؟ فقال : سل . فقال : لم تلعن فلاناً ؟ فسكت ، وأطرق الوزير لما علم من جوابه ، فلما كان بعد ساعة قال له الوزير : أجبه . فقال : لا أعرف فلانا ، وانما ألعن من لم يعتقد أن الله عز وجل في السماء وأن القرآن في المصحف ، وان النبي اليوم نبي ، ثم قام وانصرف ، فلم يمكن أحداً أن يتكلم بكلمة من هيبته وصلابته وصولته ، فقال الوزير للسائل ومن معه : هذا أردتم ؟ كنا نسمع أنه يذكر هذا بـ(هراة) ، فاجتهدتم حتى سمعناه بآذاننا ، وما عسى أن أفعل به ، ثم بعث خلفه خلعة وصلة ، فلم يقبلها ، وخرج من فوره الى هراة .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في الكلام في حياة الأنبياء في قبورهم

ولأجل هذا رام ناصر قولكم ترقيعه يا كثرة الخلقان
قال الرسول بقبره حي كما قد كان فوق الأرض والرجمان
من فوقه أطباق ذاك الترب واللـ ـبنات قد عرضت على الجدران
لو كان حياً في الضريح حياته قبل الممات بغير ما فرقان
ما كان تحت الأرض بل من فوقها والله هذي سنة الرحمن

أتراه تحت الأرض حياً ثم لا يفتيهم بشرائع الإيمان
ويريح أمته من الآراء والـــخلف العظيم وسائر البهتان
أم كان حياً عاجزاً عن نطقه وعن الجواب لسائل لهفان
وعن الحراك فما الحياة اللات قد أثبتموها أوضحوا ببيان؟

لما ذكر الناظم قول القائلين بأن الروح عرض، والعرض لا يقوم بنفسه، بل لا يقوم إلا بغيره، كالألوان، أي: كما أن الألوان التي هي الأعراض كالحمرة، والصفرة، والخضرة، ونحوها لا تقوم الا بجسم، فاذا كانت الروح عرضاً لا تقوم بغيرها، وفارقت الجسم، بطلت صفات الجسم، والرسالة صفة الرسول ﷺ، فيلزمهم أن الرسول ﷺ لما مات انتفت صفة الرسالة، فلما رأوا شناعة هذا اللازم، فروا الى القول بأن الرسول ﷺ حي في قبره كحياته على وجه الأرض، وهذا معنى قول الناظم: ولأجل هذا رام ناصر قولكم ترقيعه الخ. فاحتج الناظم عليهم بأن الرسول ﷺ لو كان حياً في الضريح كحياته قبل الموات، فأي حاجة إلى دفنه؟ بل يكون فوق الأرض، وهذه سنة الله في الأحياء، وكيف يكون حياً تحت الأرض كحياته على وجهها، ثم لا يفتي أصحابه بالشرائع، ولا يريح أمته من الآراء والاختلافات العظيمة التي حدثت بعده؟! فان كان عاجزاً عن النطق، والجواب، والحركة مما الحياة التي أثبتموها؟

قوله: الرجمان هو جمع رجم بالتحريك وهو القبر.

قال الناظم رحمه الله تعالى:

هذا ولمْ لا جاءه أصحابه يشكون بأس الفاجر الفتان
إذ كان ذلك دأبهم ونبيهم حي يشاهدهم شهود عيان

هل جاءكم أثر بأن صحابه سألوه فتياً وهو في الأكون
فأجابهم بجواب حي ناطق فأتوا إذاً بالحق والبرهان
هلا أجابهم جواباً شافياً إن كان حياً ناطقاً بلسان
هذا وما شدت ركائبه عن الـ ـحجرات للقاصي من البلدان
مع شدة الحرص العظيم له على إرشادهم بطرائق التبيان
أتراه يشهد رأيهم وخلافهم ويكون للتبيان ذا كتمان

أي : اذا كان حيـاً في قبره كحياته على وجه الأرض ، فلم لم يشك أصحابه إليه بأس الفاجر الفتان ، يشير الى وقعة الحرة لما قاتلهم مسلم بن عقبة المري ، وقتل من أهل المدينة من شاء الله ، واستباح المدينة المنورة ثلاثة أيام ، وذلك بأمر الفاجر الفتان يزيد بن معاوية قوله: إذا كان ذاك دأبهم ونبيهم حي يشاهدهم الخ . . أي : أن هذا دأبهم في حياته ﷺ ، لانهم كانوا يشكون اليه كما كانوا يشكون اليه إذا نزل بهم القحط ، وغير ذلك .

قوله : هل جاءكم أثر بأن صحابه الخ . . أي : هل جاءكم أثر بان أصحابه استفتوه بعد موته ﷺ فأجابهم بجواب حي ناطق وهو عندهم ﷺ ، هذا مع شدة حرصه ﷺ على إرشادهم ، كما نعته الله عز وجل بقوله (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) الآية . التوبة : ١٢٨ فهل يجوز أن يقال بأنه يشاهد اختلافهم ، ويكتم التبيان ، حاشاه من ذلك .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

إن قلتم سبق البيان صدقتم قد كان بالتكرار ذا إحسان
هذا وكم من أمر اشكل بعده أعني على علماء كل زمان
أو ماترى الفاروق ودّ بأنه قد كان منه العهد ذا تبيان ؟

بالجد في ميراثه وكلالة وببعض أبواب الربى الفتان
قد قصر الفاروق عند فريقكم إذ لم يسله وهو في الأكفان
أتراهمُ يأتون حول ضريحه لسؤال أمهمُ أعز حصان
ونبيهم حي يشاهدهم ويسـ ـمعهم ولا يأتي لهم ببيان
أفكان يعجز أن يجيب بقوله إن كان حياً داخل البنيان؟
ياقومنا استحيوا من العقلاء والـ ـمبعوث بالقرآن والرحمن
والله لاقدر الرسول عرفتمُ كلا ولا للنفس والانسان
من كان هذا القدر مبلغ علمه فليستتر بالصمت والكتمان
ولقد أبان الله أن رسوله ميت كما قد جاء في القرآن
أفجاء أن الله باعثه لنـا في القبر قبل قيامة الأبدان؟
أثلاث موتات تكون لرسله ولغيرهم من خلقه موتان؟!
إذ عند نفخ الصور لا يبقى امرؤ في الأرض حياً قط بالبرهان
أفهل يموت الرسل أم يبقوا إذا مات الورى أم هل لكم قولان؟!
فتكلموا بالعلم لا الدعوى وجيـ ـؤوا بالدليل فنحن ذو أذهان
أو لم يقل من قبلكم للرافعي الـ ـأصوات حول القبر بالنكران؟
لاترفعوا الأصوات حرمة عبده ميتاً كحرمته لدى الحيوان
قد كان يمكنهم يقولوا إنه حي فغضوا الصوت بالإحسان

لكنهم بالله أعلم منكم ورسوله وحقائق الإيمان

ولقد أتوا يوماً الى العباس يستسقون من قحط وجدب زمان

هذا وبينهم وبين نبيهم عرض الجدار وحجرة النسوان

فنبيهم حي ويستسقون غير نبيهم حاشا أولي الإيمان

يقول الناظم : إن قلتم : سبق البيان من الرسول ﷺ ، قلنا ، صدقتم ، لكن يحسن تكرار البيان ، لاسيما لما وقعت تلك الحوادث المهمة والبدع المدلهمة ، فيرشدهم ﷺ الى الصواب ، ويريحهم من تلك الفتن الشديدة الالتهاب ، ﷺ وكم أشكل بعده من الأمور . وفي « الصحيحين » عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه قال : ثلاث وددت أني سألت رسول الله ﷺ عنهن : الجد ، والكلالة ، وأبواب من الربا » فعلى هذا قد قصر الفاروق رضي الله عنه عندكم ، فلسان حالكم يقول : قصرت ياعمر هلا سألت رسول الله ﷺ ، إذ هو عندك حي ، فهو يجيبك .

قوله : أتراهم يأتون حول ضريحه لسؤال أمهم الخ . . أتراهم بضم التاء أي : أتظنهم يأتون الى أمهم عائشة رضي الله عنها يسألونها ونبيهم حي يشاهدهم ويسمعهم ، ثم لا يسألونه ولا يبين لهم ما أشكل عليهم ؟! هذا محال من أعظم المحالات ، ولهذا قال : ياقومنا استحيوا من العقلاء ، فانكم لم تعرفوا قدر الرسول ، ولا قدر النفس ، ومن كان هذا مبلغ علمه فالصمت أستر له ، والكتمان أولى به .

قوله : ولقد أبان الله أن رسوله الخ . . أي : أن الله سبحانه قال في القرآن (إنك ميت وإنهم ميتون) الزمر : ٣٠ فاذا صح وثبت أن الرسول ﷺ قد مات ، فهل جاء عنه أن الله باعثه في القبر قبل القيامة ؟! فاذا قلتم

بذلك ، فهل يكون للرسل ثلاث موتات ولغيرهم موتتين ؟! وذلك أنه عند النفخ في الصور لا يبقى على وجه الأرض أحد إلا مات ، فاذا كانت الرسل أحياء عند النفخ في الصور ، فهل يموتون ؛ أم يبقون إذا مات الناس؟ فتكلموا بالعلم لا بالدعوى .

قوله : أعز حصان . بفتح الحاء؛ أي : عفيفة ، ومنه : أحصنت فرجها ، وأحصنت المرأة ، أي : تزوجت ، وتأتي بمعنى العفة ، والحرية ، والاسلام .

قوله : أو لم يقل من قبلكم للرافعي الأصوات حول القبر بالنكران الى آخر الأبيات .

قوله : من قبلكم بفتح القاف . يشير الى ما رواه القاضي عياض في «الشفاء» من رواية : محمد بن حميد ، قال : ناظر أبو جعفر أمير المؤمنين مالكاً في مسجد رسول الله ﷺ فقال له مالك : يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد ، فان الله تعالى أدب قوماً فقال : (لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي الآية الحجرات : ٣ ومدح قوماً فقال : (إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله) الآية الحجرات : ٣ وذم قوماً فقال : (إن الذي ينادونك الآية الحجرات : ٤ وان حرمته ميتاً كحرمته حياً ، فاستكان لها أبو جعفر . الى آخر الحكاية .

تنبيه : إنما ذكر الناظم هذه الحكاية في معرض الاحتجاج والالزام ، والا فمحمد بن حميد ضعيف .

وقد أطال الحافظ محمد بن أحمد بن عبد الهادي في « الصارم المنكي » الكلام على هذه الحكاية ، وبيان حال محمد بن حميد . . . الى أن قال : فانظر هذه الحكاية ، وضعفها ، وانقطاعها ، ونكارتها ، وجهالة بعض رواتها ، ومخالفتها لما ثبت عن مالك وغيره من العلماء . انتهى .

قوله : ولقد أتوا يوماً الى العباس يستسقون الخ . . يشير الى مارواه البخارى عن أنس أن عمر رضي الله عنه استسقى بالعباس وقال : اللهم إنا كنـــا اذا أجدبنا توسلنا اليك بنبيك فتسقينا ، وإنا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا ، فيسقون . أفتراهم يعتقدون حياة نبيهم ﷺ كحياته على وجه الأرض ؟ ويستسقون بغيره ؟! حاشاهم من ذلك .

فصـــل

فيما احتجوا على حياة الرسل في القبور

فان احتججتم بالشهيد بأنه ... حي كما قد جاء في القرآن
والرسل أكمل حالة منه بلا ... شك وهذا ظاهر التبيان
فلذاك كانوا بالحياة أحق من ... شهدائنا بالعقل والبرهان
وبأن عقد نكاحه لم ينفسخ ... فنساؤه في عصمة وصيان
ولأجل هـذا لم يحل لغيره ... منهن واحدة مدى الأزمان
أفليس في هذا دليل أنه ... حي لمن كانت له أذنان
أو لم ير المختار موسى قائماً ... في قبره لصلاة ذي القربان
أفميت يأتي الصلاة وأن ذا ... عين المحال وواضح البطلان ؟!
أو لم يقل إني أرد على الذي ... يأتي بتسليم مع الإحسان ؟

أيرد ميت السلام على الذي يأتي به هذا من البهتان

هذا وقد جاء الحديث بأنهم أحياء في الأجداث ذا تبيان

وبأن أعمال العباد عليه تعـــرض دائماً في جمعة يومان

يوم الخميس ويوم الاثنين الذي قد خص بالفضل العظيم الشان

معنى هذه الأبيات أن القائلين بحياة الرسل في القبور ، احتجوا بأشياء. منها الشهداء ، فانهم أحياء بنص القرآن . كما قال تعالى (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون) آل عمران : ١٦٩ والرسل أكمل من الشهداء بغير شك ، فهم أحق بالحيـــاة من الشهداء. واحتجوا أيضاً بأن عقد نكاحه ﷺ لم ينفسخ من أزواجه ، وأنهن في عصمته ، وهـذا لم يحل نكاحهن لغيره . واحتجوا أنه ﷺ رأى موسى ليلة المعراج يصلي في قبره[1] وبأنه ﷺ يرد السلام على المسلمين عليه ، كما في قوله ﷺ : « مـا من مسلم يسلم علي الا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام »[2] واحتجوا أيضاً بالحديث الذي جاء بأنهم أحيـاء في قبورهم . واحتجوا أيضاً

---

(١) يشير بذلك الى الحديث الذي رواه مسلم والنسائي عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اتيت ليلة أسري بي على موسى قائماً يصلي في قبره عند الكثيب الأحمر » .

(٢) رواه ابو داود عن ابي هـــريرة رضي الله عنه ، وصححه النووي في « رياض الصالحين » و « الاذكار » .

بأن أعمال العباد تعرض عليه في يوم الخميس ، ويوم الاثنين[1] .

ثم شرع الناظم في الجواب عن حججهم فقال :

فصل

في الجواب عما احتجوا به في هذه المسألة

فيقال أصل دليلكم في ذاك حـــجتنا عليكم وهي ذات بيان
إن الشهيد حياته منصوصة لا بالقياس القائم الأركان
هذا مع النهي المؤكد أننا ندعوه ميتاً ذاك في القرآن
ونساؤه حل لنا من بعده والمال مقسوم على السهمان

---

(١) لقد اشتبه على الشارح حديثان في حديث ، فحديث عرض الأعمال على الرسول صلى الله عليه وسلم ليس فيه ذكر يوم الخميس ويوم الاثنين . ونصه « حياتي خير لكم ، تحدثون ويحدث لكم فاذا انا مت كانت وفاتي خيراً لكم ، تعرض علي اعمالكم ، فان رأيت خيراً حمدت الله ، وإن رايت شراً استغفرت الله لكم » رواه ابن سعد في « الطبقات » عن بكر بن عبد الله المزني مرسلاً ، واوره الحافظ عبد الغني المقدسي في كتاب « فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم » عن بكر بن عبد الله المزني مرسلاً من طريقين . ورواه البزار موصولاً ، عن عبد الله بن مسعود . وقال الحافظ الهيثمي : رجاله رجال الصحيح ، فهو حديث ثابت ، وهو مراد الشارح . وحديث عرض الاعمال على الله تعالى الذي فيه ذكر يوم الاثنين ويوم الخميس ، رواه مسلم في « صحيحه » والنسائي عن ابي هريرة رضي الله عنه بلفظ « تعرض الاعمال في كل يوم خميس واثنين ، فيغفر الله لكل عبد لا يشرك بالله شيئاً إلا رجلاً كانت بينه وبين اخيه شحناء ، فيقال: انظروا هذين حتى يصطلحا ، انظروا هذين حتى يصطلحا» وفي رواية « تفتح ابواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس . . . » الحديث .

هذا وان الأرض تأكل لحمه وسباعها مع أمة الديدان

لكنه مع ذاك حي فارح مستبشر بكرامة الرحمن

فالرسل أولى بالحياة لديه مع موت الجسوم وهذه الأبدان

وهي الطرية في التراب وأكلها فهو الحرام عليه بالبرهان

ولبعض أتباع الرسول يكون ذا أيضاً وقد وجدوه رأي عيان

فانظر إلى قلب الدليل عليهم حرفاً بحرف ظاهر التبيان

معنى كلام الناظم رحمه الله تعالى أن دليل القائلين بحياة الأنبياء في قبورهم، هو حجتنا عليهم . ولهذا قال: فيقال: أصل دليلكم في ذاك هو حجتنا عليكم، وهو أن الشهيد ثبتت حياته بالنص ، وهو قوله تعالى : (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء) آل عمران : ١٦٩

قوله : مع النهي المؤكد اننا ندعوه ميتاً . يعني قوله تعالى : (ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أمواتاً بل أحياء ولكن لا تشعرون) البقرة : ١٥٤ فمع ثبوت حياة الشهيد بالنص لا بالقياس ، فنساؤه حل لنا من بعده بالنكاح ، وماله مقسوم بالميراث مع هذه الحياة ، ومع النهي المؤكد عن أن ندعوه ميتاً ، والأرض والسباع والديدان تأكل لحمه ، ولكنه مع ذلك حي فارح مستبشر بكرامة الله ، كما في قوله تعالى (فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم) آل عمران : ١٧٠ فالرسل أولى بالحياة مع موت جسومهم وهي طرية في التراب . وقد حرم الله على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء ، كما في قوله ﷺ : « أكثروا علي من الصلاة يوم الجمعة وليلتها ، فان صلاتكم معروضة علي ، قالوا :

كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت أي : بليت . فقال : إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء »[1]

قولـــه : ولبعض أتباع الرسول يكون ذا . أي : أن بعض أتبـاع الرسول يكون كذلك . أي : أن الأرض لا تأكل لحمه ، وقد شوهد ذلك رأي عيان ، أي : رؤي ذلك بعين المشاهدة ، فانظر كيف قلبنا الدليل عليهم حرفاً بحرف ، وهذا ظاهر بحمد الله .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

لكن رسول الله خص نساؤه بخصيصة عن سائر النسوان
خيرن بين رسوله وسواه فاخـــترن الرسول لصحة الإيمان
شكر الإله لهن ذاك وربنا سبحانه للعبد ذو شكران
قصر الرسول على أولئك رحمة منه بهن وشكر ذي الإحسان
وكذاك أيضاً قصرهن عليه معـــلوم بلا شك ولا حسبان
زوجاته في هذه الدنيا وفي الـــأخرى يقيناً واضح البرهان
فلذا حرمن على سواه بعده إذ ذاك صون عن فراش ثان
لكن أتين بعدة شرعية فيها الحداد وملزم الأوطان

يشير الناظم الى الجواب عن قولهم : إن نساءه ﷺ لم ينفسخ نكاحهن ، وبنهن حرمن على غيره . ووجه ذلك أن الله سبحـانه خيرهن بين رسوله ،

(١) رواه أبو داود في «سننه» وابن ماجه وابن حبان في « صحيحه » والحاكم وصححه ، ورواه احمد في « المسند » وهو حديث صحيح

وبين من سواه ، فاختارن الرسول ﷺ ، لصحة إيمانهن ، فشكر الله لهن ذلك، وقصر رسوله عليهن بقوله : (لا يحل لك النساء من بعد) الأحزاب : ٥٢ رحمة منه بهن وشكراً لهن . وكذلك أيضاً قصرهن عليه ، وهن زوجاته في الدنيا والآخرة. ولذلك حرمن على من سواه بعده ، ولكن مع ذلك لما توفي ﷺ أتين بعدة شرعية والله أعلم .

قـــوله :

هذا ورؤيته الكليم مصلياً ... في قبره أثر عظيم الشان
في القلب منه حسيكة هل قاله ... فالحق ما قد قاله البرهان
ولذاك أعرض في الصحيح محمد[1] ... عنه على عمد بلا نسيان
والدارقطني الإمـــام أعله ... براوية معلومة التبيـــان
أنس يقول رأى الكليم مصلياً ... في قبره فاعجب لذا الفرقان
فرواه موقوفاً عليه وليس بالمـــرفوع واشوقاً إلى العرفان
بين السياق إلى السياق تفاوت ... لاتطرحنه فما هما سيان
لكن تقلد مسلماً وسواه ممـــن صح هذا عنده ببيـان
فرواته الأثبات أعلام الهدى ... حفاظ هذا الدين في الأزمان
لكنّ هذا ليس مختصاً به ... والله ذو فضل وذو إحسان
فروى ابن حبان الصدوق وغيره ... خبراً صحيحاً عنده ذا شان

---

(١) اي محمد بن اسماعيل البخاري صاحب « الصحيح »

فيه صلاة العصر في قبر الذي ... قد مات وهو محقق الإيمان

فتمثل الشمس التي قد كان ير ... عاها لأجل صلاة ذي القربان

عند الغروب يخاف فوت صلاته ... فيقول للملكين هل تدعان

حتى أصلي العصر قبل فواتها ... قالا ستفعل ذاك بعد الآن

هذا مع الموت المحقق لا الذي ... حكيت لنا بثبوته القولان

قوله : هذا ورؤيته الكليم مصلياً الخ . . أي : وأما احتجاجهم برؤيته ﷺ موسى عليه السلام يصلي في قبره ، ففيه نظر ، وذلك أن الامام الدارقطني أعله بأنه روي موقوفاً على أنس ، ولذلك أعرض عنه البخاري فلم يروه في « صحيحه » وأما مسلم فرواه موقوفاً وتفرد به عن البخاري ، وعلى تقدير رفعه فليس مختصاً بموسى عليه السلام ، فقد روى ابن حبان وغيره عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : « ان الميت اذا وضع في قبره إنه ليسمع خفق نعالهم حين يولون عنه قال : فان كان مؤمناً كانت الصلاة عند رأسه ، والصيام عن يمينه ، والزكاة عن شماله ، وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والاحسان عند رجليه ، فيؤتى من قبل رأسه ، فتقول الصلاة : ماقبلي مدخل ، ثم يؤتى عن يمينه فيقول الصيام : ماقبلي مدخل ، ثم يؤتى عن يساره فتقول الزكاة : ماقبلي مدخل ، ثم يؤتى من قبل رجليه فتقول فعل الخيرات من الصدقة ، والصلة ، والمعروف ، والاحسان ، ماقبلي مدخل ، فيقول له : اجلس ، فيجلس وقد مثلت له الشمس وقد دنت للغروب فيقول له : هذا الرجل الذي كان فيكم ماتقول فيه ؟ وما تشهد به عليه ؟ فيقول : دعوني حتى أصلي ، فيقولون : إنك ستصلي ، أخبرنا عما نسألك عنه . . . » الحديث . وقد رواه الامام أحمد في « المسند »[1]

---

(١) ورواه الطبراني في « الاوسط »

وقوله : هذا مع الموت المحقق الخ . أي : أن هذا المذكور في هـذا الحديث محقق الموت ، وقد طلب الصلاة وهي في القبر ، والصلاة في القبر ليست مختصة بموسى عليه السلام .

وقوله : لا الذي حكيت به القولان . أي : أن صلاة موسى عليه السلام في قبره ليلة المعراج قد روي فيها الحديث ، وتقدم أن الدارقطني أعله بانه روي موقوفاً على أنس ، ولهذا لم يروه البخاري في « صحيحه » وأما مسلم فرواه مرفوعاً ، فهذا معنى قول الناظم : لا الذي حكيت به القولان.

قال الناظم رحمه الله تعالى :

هذا وثابت البناني قد دعى الـرحمن دعوة صادق الايقان

أن لايزال مصلياً في قبره إن كان أعطى ذاك من إنسان

أي : أن ثابت البناني رحمه الله قد دعى الله أن يرزقه الصلاة في قبره كما قال ابن سعد في « الطبقات » وابن أبي شيبة في « المصنف » والإمام أحمد في الزهد معاً ، أخبرنا عفان بن مسلم قال : حدثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت البناني قال : اللهم إن كنت أعطيت أحداً الصلاة في قبره ، فأعطني الصلاة في قبري . وروى أبو نعيم عن يوسف بن عطية قال : سمعت ثابتاً يقول لحميد الطويل : هل بلغك أن أحداً يصلي في قبره إلا الأنبياء ؟ قال : لا . قال ثابت : اللهم إن أذنت لأحد أن يصلي في قبره فأذن لثابت أن يصلي في قبره . وروي أيضاً عن جبير قال : أنا والله الذي لا إله إلا هو أدخلت ثابتاً البناني لحده ، ومعي حميد الطويل ، فلما سوينا عليه اللبن سقطت لبنة ، فاذا أنا به يصلي في قبره ، وكان يقول في دعائه : اللهم إن كنت أعطيت أحداً من خلقك الصلاة في قبره فأعطنيها ، فما كان الله ليرد دعاءه .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

لكنّ رؤيته لموسى ليلة المـــعراج فوق جميع ذي الأكوان
يرويه أصحاب الصحاح جميعهم والقطع موجبه بلا نكران
ولذاك ظن معارضاً لصلاته في قبره إذ ليس يجتمعان
وأجيب عنه بأنه أسري به ليراه ثم مشاهداً بعيـــان
فرآه ثم وفي الضريح وليس ذا بتناقض إذ أمكن الوقتان

أي : أن رؤيته موسى عليه السلام ليلة المعراج في السماء يرويه أصحاب الصحاح جميعهم ، وهو مقطوع بصحته ، ولذلك ظن معارضاً لصلاته في قبره ، ولكن أجيب عنه كما قال الناظم بأنه أسري به ﷺ ليراه هناك ، ورآه أيضاً في الضريح ، وهذا ليس بتناقض ، لأن ذلك ممكن . أي : أن رؤيته في السماء وفي القبر ممكنة ، والله أعلم . وقد قال الناظم في كتاب « الروح » وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه رأى موسى قائماً يصلي في قبره ليلة الاسراء ، ورآه في السماء السادسة أو السابعة ، فالروح كانت هناك ولها اتصال بالبدن في القبر وإشراف عليه ، وتعلق به بحيث يصلي في قبره ، ويرد سلام من يسلم عليه ، وهي في الرفيق الأعلى ، ولا تنافي بين الأمرين ، فإن شأن الأرواح غير شأن الأبدان ، وهذا جمع حسن ، والله أعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

هذا ورد نبينا لسلام من يأتي بتسليم مع الاحســـان
ماذاك مختصاً به أيضا كما قد قاله المبعوث بالقرآن

من زار قبر أخ له فأتى بتسـليم عليه وهـو ذو ايمـان
رد الإله عليه حقا روحـه حتى يرد عليه رد بيـان

يشير إلى ما رواه أبو داود باسناد حسن عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « ما من مسلم يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام »[1] ويجاب عنه بأن ذلك ليس خاصاً به ﷺ . فقد روى أبو عمر ابن عبد البر من حـديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ « ما من رجل يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه فيسلم عليه الا عرفه ورد عليه السلام» .

تنبيـه : اعلم أن القائلين بحياة الأنبياء في القبور أشكل عليهم قوله ﷺ « إلا رد الله علي روحي » وأجابوا عنه بجوابين : أحدهما : ذكره الحافظ أبو بكر البيهقي أن المعنى : إلا وقد رد الله علي روحي ، يعني أن النبي ﷺ بعد ما مات ودفن رد الله عليه روحه لأجل سلام من يسلم عليـه ، واستمرت في جسده ﷺ .

الجواب الثـاني : أنه يحتمل أن يكون رداً معنوياً ، وأن تكون روحه الشريفة مشتغلة بشهود الحضرة الالهية والملأ الأعلى عن هذا العالم ، فاذا سلم عليه أقبلت روحه الشريفة على هذا العالم لتدرك سلام من يسلم عليه وترد عليه .

والجواب أن في كل واحد من الجوابين نظر ، أمـا الأول وهو الذي ذكره البيهقي في الجزء الذي جمعه في حياة الأنبياء عليهم السلام بعد وفاتهم ، فمضمونه رد روحه ﷺ بعد موته الى جسده ، واستمرارها فيه قبل سلام من يسلم عليه ، وليس هذا المعنى مذكوراً في الحـديث ، ولا هو ظاهره ، بل هو مخالف لظاهره ، فإن قوله : « الا رد الله علي روحي » بعد قوله :

(١) قال الامام النووي في « رياض الصالحين » : رواه ابو داود باسناد صحيح .

« ما من أحد يسلم علي » يقتضي ردالروح بعدالسلام؛ ولايقتضي استمرارها في الجسد . وليعلم أن رد الروح في البدن وعودها الى الجسد بعد الموت لايقتضي استمرارها فيه ، ولايستلزم حياة أخرى قبل يوم النشور ، نظير الحياة المعهودة ، بل إعادة الروح الى الجسد في البرزخ إعادة برزخية لاتزيل عن الميت اسم الموت ، وقد ثبت في حديث البراء بن عازب الطويل المشهور في عذاب القبر ونعيمه[١] ، وفي بيان الميت وحاله ، أن روحه تعاد الى جسده مع العلم بأنها غير مستمرة فيه ، وأن هذه الاعادة ليست مستلزمة لإثبات حياة مزيلة لاسم الميت ، بل هي نوع حياة برزخية ، والحياة جنس تحتها أنواع ، وكذلك الموت ، فإثبات بعض أنواع الموت لا ينافي الحياة ، كما في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه كان إذا استيقظ من النوم قال : « الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا واليه النشور »[٢] وتعلق الروح بالبدن واتصالها به يتنوع أنواعاً :

أحدها : تعلقها به في هذا العالم يقظة ومناماً .

الثاني : تعلقها به في البرزخ ، والأموات متفاوتون في ذلك ، فالذي للرسل والأنبياء أكمل مما للشهداء ، ولهذا لاتبلى أجسادهم ، والذي للشهداء أكمل مما لغيرهم من المؤمنين الذين ليسوا بشهداء . والثالث : تعلقها به يوم البعث والنشور في اليوم الآخر . ورد الروح الى البدن في البرزخ ، لايستلزم الحياة المعهودة ، ومن زعم استلزامه لها لزمه ارتكاب أمور باطلة مخالفة

---

(١) رواه احمد ، وابو داود .

(٢) رواه البخاري في « صحيحه » عن حذيفة وابي ذر ، ومسلم عن ابي البراء ، واصحاب السنن عن حذيفة ولفظ الترمذي « الحمد لله الذي أحيا نفسي بعد ما أماتها واليه النشور » وقال حديث حسن صحيح .

للحس ، والشرع ، والعقل . وهذا المعنى المذكور في حديث ابي هريرة من رده ﷺ السلام على من يسلم عليه[1] قد ورد نحوه في الرجل يمر بقبر أخيه كما تقدم ، والله اعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وحديث ذكر حياتهم بقبورهم ... لما يصح وظاهر النكران

فانظر الى الاسناد تعرف حاله ... ان كنت ذا علم بهذا الشان

أما حديث حياة الأنبياء في قبورهم ، وهو مارواه أبو يعلى ، والبيهقي عن أنس رضي الله عنه ، انه ﷺ قال : « الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون» وقد أجاب الناظم عنه بأنه غير صحيح ، ولكن على تقدير صحته ، فلاشك أنه لايراد بهذه الحياة الحقيقة ، ولو أريدت لاقتضت جميع لوازمها ، من أعمال ، وتكليف ، وعبادة ، ونطق ، وغير ذلك ، وحيث انتفت حقيقة هذه الحياة الدنيوية بانتفاء لوازمها ، وبحصول الانتقال من هذه الحياة الدنيوية الحقيقية الى تلك الحياة البرزخية ، وهذا معنى قول الناظم :

هذا ونحن نقول هم أحياء لكن عندنا كحياة ذي الأبدان

والترب تحتهم وفوق رؤوسهم ... وعن الشمائل ثم عن أيمان

مثل الذي قد قلتموه معاذنا ... بالله من إفك ومن بهتان

بل عند ربهم تعالى مثلما ... قد قال في الشهداء في القرآن

لكن حياتهم أجل وحالهم ... أعلى وأكمل عند ذي الاحسان

---

(١) هو حديث ابي داود عن ابي هريرة « ما من أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام » .

قوله : لكن عندنا كحياة ذي الأبدان ، هذا موصوف صفة ؛ أي : مثل الذي قد قلتموه . : لانقول بذلك ، معاذالله من ذلك ؛ أي : لانقول كما قلتم : إن حياتهم عندنا كحياتهم على وجه الأرض . نعوذ بالله من إفك ومن بهتان ، بل هم أحياء عند الله كما قال تعالى : (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون) آل عمران : ١٦٩ لكن حياة أجل وأعلى من حياة الشهداء ، والله اعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

هذا وأما عرض أعمال العبا ... د عليه فهو الحقّ ذو إمكان

وأتى به أثر فان صح الحديـ ... ـث به فحق ليس ذا نكران

لكنّ هذا ليس مختصاً به ... أيضاً بآثار روين حسان

فعلى أبي الانسان يعرض سعيه ... وعلى أقاربه مع الإخوان

إن كان سعياً صالحاً فرحوا به ... واستبشروا بالذة الفرحان

أو كان سعياً سيئاً حزنوا وقا ... لوا رب راجعه إلى الاحسان

ولذا استعاذ من الصحابة من روى ... هذا الحديث عقيبه بلسان

يارب إني عائذ من خزية ... أخزى بها عند القريب الداني

ذاك الشهيد المرتضى ابن رواحة المحبوّ بالغفران والرضوان

لكن هذا ذو اختصاص والذي ... للمصطفى ما يعمل الثقلان

يريد ماروواه ابن حبان وغيره، من حديث أوس رضي الله عنه مرفوعاً « أفضل أيامكم يوم الجمعة ، فيه خلق آدم ، وفيه قبض ، وفيه النفخة ، وفيه

الصعقة، فأكثروا علي من الصلاة فيه ، فإن صلاتكم معروضة علي » قالوا : وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت (اي بليت) فقال عليه الصلاة والسلام : « ان الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء »[1] وقد أجاب عنه الناظم بأن هذا ليس من خصائصه ﷺ كما روى أحمد ، وابن منده عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ: « إن أعمالكم تعرض على أقاربكم وعشائركم من الأموات ، فان كان خيراً استبشروا ، وان كان غير ذلك قالوا : اللهم ألهمهم أن يعملوا بطاعتك » وروى الحكيم الترمذي ، وابن ابي الدنيا في كتاب المنامات ، والبيهقي في « شعب الايمان » عن النعمان بن بشير ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : «اتقوا الله في إخوانكم من أهل القبور ، فان أعمالكم تعرض عليهم » وروى ابن ابي الدنيا ، والاصبهاني في « الترغيب » عن ابي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : لاتفضحوا موتاكم بسيئات أعمالكم ، فانها تعرض على أوليائكم من أهل القبور »

قوله : ولذا استعاذ مر الصحابة من روى الخ روى ابن المبارك ، والاصبهاني ، عن ابي الدرداء قال : إن أعمالكم تعرض على موتاكم ،فيسرون ويساؤون ، ويقول : اللهم اني أعوذ بك أن أعمل عملا تخزي به عبد الله ابن رواحة ، ولكن يجاب عن ذلك أيضاً بأنه مع ذلك لايجوز ان يطلب منهم شيء ، ولا يسألون شيئاً بعد وفاتهم ، سواء كان بلفظ استغاثة ، أو

---

(١) ورواه ابو داود رقم (١٠٤٧) وسنده صحيح ، ورواه النسائي وابن ماجه ، والدرامي .

توجه ، أو استشفاع ، أو غير ذلك ، فجميع ذلك من وظائف الألوهية ، فلا يليق جعله لمن يتصف بالعبودية ، ولا ملازمة بين مسألة الحياة ، وبين مسألة الاستغاثة. ومما يقطع به أن أحداً في زمانه ﷺ أو ممن بعده في القرون الثلاثة المشهود لأهلها بالنجاة والصدق ـ وهم أعلم منا بهذه المطالب وأحرص على نيل مثل تلك الرغائب ـ ما استغاث بمن يزيل كربته التي لا يقدر على إزالتها إلا الله سبحانه ، بل كانوا يقصرون الاستغاثة على مالك الأمور ، ولم يعبدوا إلا إياه . ولقد جرت عليهم أمور مهمة ، وشدائد مدلهمة في حياته ﷺ وبعد وفاته ، فهل سمعت عن أحد منهم أنه استغاث بسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ، أو قالوا : إنا مستغيثون بك يا رسول الله ، أم بلغك أنهم لاذوا بقبره الشريف وهو سيد القبور حين ضاقت منهم الصدور ، كلا لا يمكن لهم ذلك ، بل الأمر بعكس ما هنالك ، فلقد أثنى الله عليهم ورضي عنهم فقال عز من قائل (إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم) الأنفال :٩ مبيناً سبحانه أن هذه الاستغاثة هي أخص الدعاء وأجل أحوال الالتجاء ، ففي استغاثة المضطرين بغيره تعالى عند كربته تعطيل لتوحيد معاملته الخاصة به .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

هذي نهايات لأقدام الورى ... في ذا المقام الضنك صعب الشان

والحق فيه ليس تحمله عقو ... ل بني الزمان لغلظة الأذهان

ولجهلهم بالروح مع أحكامها ... وصفاتها للالف بالأبدان

فأرض الذي رضي الاله لهم به ... أتريد تنقض حكمة الديان

هل في عقولهم بأن الروح في أعلى الرفيق مقيمة بجنان
وترد أوقات السلام عليه من أتباعه في سائر الأزمان
وكذاك إن زرت القبور مسلماً ردت لهم أرواحهم للآن
فهم يردون السلام عليك لكن لست تسمعه بذي الأذنان
هذا وأجواف الطيور الخضر مسكنها لدى الجنات والرضوان
من ليس يحمل عقله هذا فلا تظلمه واعذره على النكران
للروح شأن غير ذي الأجسام لا تهمله شأن الروح أعجب شان
وهو الذي حار الورى فيه فلم يعرفه غير الفرد في الأزمان
هذا وأمر فوق ذا لو قلته بادرت بالانكار والعدوان
فلذاك أمسكت العنان ولو أرى ذاك الرفيق جريت في الميدان

قال الناظم في كتاب « الروح » له مانصه : واما السلام على أهل القبور وخطابهم ، فلا يدل على أن ارواحهم ليست في الجنة ، وأنها على أفنية القبور ، فهذا سيد ولد آدم عليه الصلاة والسلام الذي روحه في أعلى عليين مع الرفيق الأعلى يسلم عليه عند قبره ، ويرد سلام المسلم عليه ، وقد وافق أبو عمر رحمه الله تعالى على أن أرواح الشهداء في الجنة ، ويسلم عليهم عند قبورهم ، كما يسلم على غيرهم ، كما علمنا النبي صلى الله عليه وسلم أن نسلم عليهم ، و كما كان الصحابة يسلمون على شهداء أحد ، وقد ثبت أن أرواحهم في الجنة تسرح حيث شاءت ، كما تقدم ، ولا يضيق عطنك عن كون الروح

في الملأ الأعلى تسرح في الجنة حيث شاءت ، وتسمع سلام المسلم عليها عند قبرها وتدنو حتى ترد عليه السلام ، وللروح شأن آخر غير شأن البدن ، وهذا جبريل صلوات الله وسلامه عليه ، رآه النبي صلى الله عليه وسلم له ستمائة جناح منها جناحان قد سد بهما مابين المشرق والمغرب ، وكان يدنو من النبي صلى الله عليه وسلم يضع ركبتيه ويديه على فخذيه ، وما أظنك يتسع بطانك أنه كان حينئذ في الملأ الأعلى فوق السموات حيث هو مستقره . وقد دنا من النبي صلى الله عليه وسلم هذا الدنو ، فإن التصديق بهذا له قلوب خلقت له ، وأهلت لمعرفته ، ومن لم يتسع بطانه لهذا فهو أضيق أن يتسع للإيمان بالتنزل الإلهي الى سماء الدنيا كل ليلة ، وهو فوق سمواته على عرشه ، لايكون فوقه شيء البتة ، بل هو العالي على كل شيء ، وعلوه من لوازم ذاته ، وكذلك دنوه عشية عرفة من اهل الموقف ، وكذلك مجيئه يوم القيامة لمحاسبة خلقه ، وإشراق الأرض بنوره ، وكذلك مجيئه الى الأرض حين دحاها وسواها ومـــدها وبسـطها وهيأها لما يراد منها ، وكذلك مجيئه إليها قبل يوم القيامة حين يقبض من عليها ولا يبقى أحد ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم « فأصبح ربك يطوف في الأرض » وقد خلت عنه البلاد ، هذا وهو فوق سمواته على عرشه .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

هـذا وقولي إنهـا مخلوقـة ... وحدوثهـا المعلوم بالبرهـان
هذا وقـولي إنها ليست كما ... قد قال أهل الافك والبهتان
لاداخل فينا ولاهي خـارج ... عنـا كما قالوه في الديان
والله لا الرحمن أثبتم ولا ... أرواحكم يامدعي العرفان

عطلتم الأبدان من أرواحها والعرش عطلتم من الرحمن

قوله : هذا وقولي إنها مخلوقة الخ . هـــذه المسألة ذكرها الناظم في كتاب « الروح » وحاصل كلامه أنه قال : أجمعت الرسل صلوات الله وسلامه عليهم على أن روح الانسان محدثة مخلوقة مصنوعة مربوبة ، وهذا معلوم بالاضطرار من دين الرسل صلوات الله وسلامه عليهم ، كما يعلم بالاضطرار من دينهم أن العالم حادث ، وأن معاد الأبدان واقع ، وأن الله تعالى وحده الخالق ، وكل ماسواه له ، وقد انطوى عصر الصحابة والتابعين وتابعيهم ، وهم القرون المفضلة ، وهم على ذلك من غير اختلاف بينهم في حدوثها ، وأنها مخلوقة ، حتى نبغت نابغة ممن قصر فهمه في الكتاب والسنة ، فزعم أنها قديمة غير مخلوقة ، واحتج لذلك أنها من أمر الله ، وأمر الله غير مخلوق ، وبأن الله أضافها اليه ، كما أضاف اليه علمه ، وكتابه ، وقدرته ، وسمعه ، وبصره ، ويده . وتوقف آخرون فقالوا : لانقول : مخلوقة ، ولا غير مخلوقة ، وقد سئل عن ذلك حافظ أصبهان أبو عبد الله بن منده فقال : أما بعد فان سائلا سأل عن الروح التي جعلها الله سبحانه قوام أنفس الخلق وأبدانهم ، وذكر أن أقواماً تكلموا في الروح ، وزعموا أنها غير مخلوقة ، وخص بعضهم منها أرواح القدس ، وأنها من ذات الله . قال : وأنا أذكر أقاويل متقدميهم ، وأبين مايخالف أقاويلهم من الكتاب والأثر ، وأقاويل الصحابة والتابعين وأهل العلم ، وأوضح خطأ المتكلم في الروح بغير علم ، وأن كلامهم يوافق قول جهم بن صفوان وأصحابه ، فذكر أن الناس اختلفوا في معرفة الأرواح ومحلها من النفس . فقال بعضهم : الأرواح كلها مخلوقة . قال : وهذا مذهب أهل الجماعة والأثر ، واحتجت بقول النبي ﷺ «الارواح جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف » رواه الامام أحمد ، ومسلم

وأبو داود ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . ورواه البخاري من حديث سلمان الفارسي ، وعبد الله بن عباس ، وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عنبسة رضي الله عنهم . والجنود المجندة لاتكون إلا مخلوقة وقال بعضهم : الأرواح من أمر الله أخفى الله حقيقتها وعلمها عن الخلق واحتجت بقول الله تعالى (قل الروح من أمر ربي) الأسراء : ٨٥

وقال بعضهم : الأرواح نور من نور الله تعالى ، وحياة من حياته ، واحتجوا بقول النبي ﷺ « إن الله خلق خلقه من ظلمة ، ثم القى عليهم من نوره » وتمام الحديث : «فمن أصابه من ذلك النور يوم ئذ اهتدى ، ومن أخطأه ضل » رواه الامام أحمد ، والحاكم ، والترمذي ، من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه . وقال محمد بن نصر المروزي في كتابه : تأول صنف من الزنادقة وصنف من الروافض في روح ابن آدم ماتأولته النصارى في روح عيسى ، وماتأوله قوم من أن الروح انفصل من ذات الله تعالى ، وتقدست أسماؤه ، فصار في المؤمن ، فعبد صنف من النصارى عيسى و مريم جميعاً ، لأن عيسى عندهم روح من الله فصار في مريم ، فهو غير مخلوق عندهم . وقال صنف من الزنادقة ، وصنف من الروافض : إن روح آدم عليه السلام مثل ذلك إنه غير مخلوق ، وتأولوا قوله : (ونفخت فيه من روحي) الحجر : ٢٩ وقوله : (ثم سواه ونفخ فيه من روحه) السجدة : ٩ فزعموا أن روح ابن آدم ليس بمخلوق ، كما تأول من قال : إن النور من الرب غير مخلوق ، قالوا : ثم صار بعد آدم في الوصي بعده ، ثم هو في كل نبي ووصي ، الى أن صار في علي بن ابي طالب رضي الله عنه ، ثم في ابنية الحسن ، والحسين ، رضي الله عنهما ، ثم في كل وصي وإمام فيه يعلم الامام كل شيء ، لايحتاج أن يتعلم من أحد .

قال : ولا خلاف بين المسلمين أن الأرواح في آدم وبنيه ، وعيسى ومن سواه من بني آدم ، كلها مخلوقة ، الله خلقها وأنشأها وكونها ، وأخبر عنها ، ثم أضافها إلى نفسه ، كما أضاف اليه سائر خلقه . قال تعالى (وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه) الجاثية : ١٣

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله : روح الآدمي مخلوقة مبدعة باتفاق سلف الأمة وأئمتها ، وسائر أهل السنة . وقد حكى إجماع العلماء على انها مخلوقة غير واحد من أئمة المسلمين ، مثل محمد بن نصر المروزي الامام المشهور الذي هو من أعلم أهل زمانه بالاجماع والاختلاف ، وكذلك أبو محمد ابن قتيبة .

قال الناظم في كتاب « الروح » قد تكلم في هذه المسألة طوائف من اكابر العلماء والمشايخ ، وردوا على من يزعم أنها غير مخلوقة ، وصنف الحافظ أبو عبد الله بن منده في ذلك كتاباً كبيراً ، وقبله الامام محمد بن نصر المروزي وغيره ، والشيخ أبو سعيد الخراز ، وأبو يعقوب النهرجوري ، والقاضي أبو يعلى . وقد نص على ذلك الأئمة الكبار ، واشتد نكيرهم على من يقول ذلك في روح عيسى بن مريم عليه السلام ، فكيف بروح غيره كما ذكره الامام أحمد رضي الله عنه ، فيما كتبه في محبسه في الرد على الزنادقة والجهمية . انتهى .

قوله : هذا وقولي إنها ليست كما قد قال أهل الافك والبهتان الخ

قال الناظم في كتاب « الروح » في المسألة التاسعة عشرة : لما سئل عن حقيقة الروح ، وهل هي النفس أو غيرها ؟ وذكر مذاهب الناس في ذلك ، قال : وقالت طائفة ليست النفس جسماً ولا عرضاً ، وليست في مكان .

ولا لها طول ، ولا عرض ، ولا عمق ، ولا لون ، ولا بعض ، ولاهي في العالم ، ولا خارج العالم ، ولا مجانبة له ، ولا مباينة . وهذا قول المشائين ، وهو الذي حكاه الأشعري عن أرسطاطاليس ، وزعموا أن تعلقها بالبدن لا بالحلول فيه ، ولا بالمجاورة ، ولا بالمساكنة ، ولا بالاتصال ، ولا بالمقابلة ، وانما هو التدبير فقط ، واختار هذا المذهب البوشنجي ، ومحمد بن النعمان الملقب بالمفيد ، والغزالي ، وهو قول ابن سينا وأتباعه ، وهو أردأ المذاهب وأبطلها ، وأبعدها من الصواب ، ثم ذكر على ابطال هذا المذهب نحو مائة وستة عشر دليلا ، ثم اجاب عن أدلة المنازعين بما ليس هذا موضع ذكره ، والله أعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في كسر المنجنيق الذي نصبه أهل التعطيل على معاقل الاسلام وحصونه جيلا بعد جيل .

لا يفزعنك قراقع وفراقع وجعاجع عريت عن البرهان
ماعندهم شيء يهولك غير ذا ك المنجنيق مقطع الاركان
وهو الذي يدعونه التركيب منـــصوبا على الاثبات منذ زمان
أرأيت هذا المنجنيق فانهم نصبوه تحت معاقل الايمان
بلغت حجارته الحصون فهدت الشـــرفات واستولت على الجدران

لله كم حصن عليه استولت الـــكفار من ذا المنجنيق الجاني
والله مانصبوه حتى عبروا قصداً على الحصن العظيم الشان
ومن البلية أن قوماً بين أهـــل الحصن واطوهم على العدوان
ورموا به معهم وكان مصاب أهـــل الحصن منهم فوق ذي الكفران
فتركبت من كفرهم ووفاق من في الحصن أنواع من الطغيان
وجرت على الاسلام أعظم محنة من ذين تقديراً من الرحمن
والله لولا أن تدارك دينه الـــرحمن كان كسائر الأديان
لكن أقام له الاله بفضله يزكاً من الأنصار والأعوان
فرموا على ذا المنجنيق صواعقاً وحجارة هدته للأركـــان

شرع الناظم رحمه الله تعالى في الجواب عن شبههم العظمى التي بها يصولون وعمدتهم الكبرى التي بها يهولون ، وهي حجة التركيب. قوله : لايفزعنك فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التأكيد الخفيفة .

قوله : المنجنيق . (آلة ترمى بها الحجارة ، كالمنجنوق معربة ، جمع منجنيقات ، ومجانق ومجانيق ، وقد جنقوا يجنقون ، وجنقوا تجنيقاً)

قوله : معاقل الاسلام (جمع معقل ، وهو الحصن والملجأ ، أي حصون الاسلام)

فاسألهم ماذا الذي يعنون بالـــتركيب فالتركيب ست معان
إحدى معانيه هو التركيب من متباين كتركب الحيوان
من هذه الأعضا كذا أعضاؤه قد ركبت من أربع الأركان

أفلازم ذا للصفات لربنا وعلوه من فوق كل مكان
ولعل جاهلكم يقول مباهتاً ذا لازم الاثبات بالبرهان
فالبهت عندكم رخيص سعره حشواً بلا كيل ولا ميزان

هذا هو المعنى الأول من معاني التركيب ، فان الناظم ذكر أن للتركيب ست معان ، وهذا التركيب كما قال الناظم كتركب الحيوان من هذه الأعضاء ، وكذلك تركب الأعضاء من الأركان الأربعة ، وهي الماء والهواء والتراب ، والنار . والرب تعالى موصوف بصفاته العلى ، ولا يلزم هذا التركيب .

وقوله : أفلازم ذا للصفات لربنا ؟ . وهذا استفهام انكار ؛ أي : ليس بلازم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

هذا وثانيها فتركيب الجوا ر وذاك بين اثنين يفترقان
كالجسر والباب الذي تركيبه بجواره لمحله من بان
والأول المدعو تركيب امتزا ج واختلاط وهو ذو تبيان
أفلازم ذا من ثبوت صفاته أيضاً تعالى الله ذو السلطان ؟

هذا هو المعنى الثاني من معاني التركيب ، وهو تركيب الجوار ، كتركيب الباب على الجسر ، والأول يسمى تركيب امتزاج

قال الناظم رحمه الله تعالى :

والثالث التركيب من متماثل يدعى الجواهر فردة الأركان

هذا هو المعنى الثالث من معاني التركيب ، وهوالتركيب من الجواهر المنفردة ،وإثبات ذلك هوقول بعض المتكلمين ، وإنكارذلك هو قول ابن كلاب وأتباعه ،وهو قول الهشامية،والنجارية والضرارية ، وبعض الكرامية وستأتي الاشارة الى بطلانه من كلام الناظم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

والرابع الجسم المركب من هيو لاه وصورته لذي اليونان
فالجسم فهو مركب من ذين عنـــد الفيلسوف وذاك ذو بطلان
ومن الجواهر عند أرباب الكلا م وذاك ايضاً واضح البطلان

هذا هو المعنى الرابع من معاني التركيب وهو التركيب من الهيولى والصورة عند الفلاسفة .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فالمثبتون الجوهر الفرد الذي زعموه أصل الدين والايمان
قالوا بأن الجسم منه مركب ولهم خلاف وهو ذو ألوان
هل يمكن التركيب من جزئين أو من أربع أو ستة وثمان
أو ست عشرة قد حكاه الأشعريّ لذي مقالات على التبيان
أفلازم ذا من ثبوت صفاته وعلوّه سبحان ذي السبحان ؟
والحق أن الجسم ليس مركباً من ذا ولا هذا هما عدمان
والجوهر الفرد الذي قد أثبتو ه ليس ذا أبداً وذا إمكان
لو كان ذلك ثابتاً لزم المحا ل لواضح البطلان والبهتان

من أوجه شتى ويعسر نظمها جداً لأجل صعوبة الأوزان
أتكون خردلة تساوي الطود في الأجزاء في شيء من الأذهان
إذ كان كل منهما أجزاؤه لاتنتهي بالعد والحسبان
وإذا وضعت الجوهرين وثالثاً في الوسط وهو الحاجز الوسطان
فلأجله افترقا فلا يتلاقيا حتى يزول اذاً فيلتقيان
ما مسه إحداهما منه هو المـــمسوس للثاني بلا فرقان
هذا محال أو تقولوا غيره فهو انقسام واضح التبيان

شرع الناظم رحمه الله تعالى في إبطال القول بالجوهر الفرد ، مع أن القائلين به من المتكلمين يزعمون أن اثباته هو أصل الدين والإيمان .

قال أبو المعالي الجويني رحمه الله تعالى وغيره : اتفق المسلمون على أن الأجسام تتناهى في تجزئها وانقسامها حتى تصير أفراداً ، ومع هذا فقد شك هو فيه ، وكذلك شك فيه أبو الحسن البصري ، وأبو عبد الله الرازي .

قال شيخ الاسلام : ومعلوم أن هذا القول لم يقله أحد من أئمة المسلمين ، ولا من الصحابة ، ولا التابعين لهم باحسان ، ولا أحد من أئمة العلم المشهورين بين المسلمين . وأول من قال ذلك في الاسلام طائفة من الجهمية والمعتزلة ، وهذا من الكلام الذي ذمه السلف وعابوه ، ولكن حاكي هذا الاجماع ، لما لم يعرف أصول الدين إلا ما في كتب الكلام ، ولم يجد إلا من يقول بذلك ، اعتقد هذا إجماع المسلمين . والقول بالجوهر الفرد باطل ، والقول بالهيولى والصورة باطل . انتهى كلامه .

قوله : هل يمكن التركيب من جزئين الخ . أي : أن القائلين بالجوهر

الفرد اختلفوا ، هل يمكن تركيب الجسم من جزئين ، أوأربعة ، أو ستة ، أو ثمانية، أوستةعشر ؛ على خلاف بينهم ، حكاه الأشعري في المقالات .

وفي « العقل والنقل » لشيخ الاسلام : من يثبت الجوهر الفرد ويقول بتماثل الاجسام ، وأن مايحدثه الله تعالى من الحوادث ، انما هو تحويل الجواهر التي هي أجسام من صفة إلى صفة مع بقاء أعيانها ، وينكرون الاستحالة ، وجمهور العقلاء وأهل العلم من الفقهاء وغيرهم متفقون على بطلان قولهم ، وأن الله تعالى يحدث الأعيان ويبدعها ، وان كان يحيل الجسم الأول الى جرم آخر ، فلا يقولون : ان جرم النطفة باق في بدن الانسان ، ولاجرم النواة باق في النخلة انتهى كلامه .

وقول الناظم : أتكون خردلة تساوي الطود الخ .. أي : أتكون الخردلة التي في غاية الصغر والحقارة تساوي الجبل العظيم، بجامع أن أجزاء كل منهما لا تنتهي بالحد والحسبان ، هذا في غاية الاحالة . ثم ذكر الناظم دليلاً آخر على بطلان هذا المذهب ، فقال : واذا وضعت الجوهرين وثالثاً الخ .. أي : اذا فرضنا جزءاً بين جزئين ، فاما أن يكون الوسط حاجباً للطرفين عن التماس ، أو لا ، فعلى الأول يكون للوسط طرفان ، بأحدهما يماس أحد الجزئين ، وبالآخر يماس الآخر ، فلا محالة يكون بين جهتيه امتداد قابل للقسمة ولوهماً ، وكذا يكون للجزئين الطرفين جنتهان ، باحداهما يماس كل من ذينك الجزئين الوسط ، وبالآخر يكون فارغاً من لقائه ، فيكونان منقسمين ، وعلى الثاني ، فاما أن يكون الوسط متداخلاً في أحد الطرفين ، أو في كليهما ، فلا يحصل منهما حجم ، فلا يتألف منهما جسم ، أو لا يكون بين تلك الأجزاء ترتيب، فلا يتصور منهما تركيب ، وللقائلين بابطال الجوهر الفرد أدلة أخرى على بطلانه ، تركناها اختصاراً ، والله أعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

والخامس التركيب من ذات مع الـــأوصاف هذا باصطلاح ثان
سموه تركيباً وذلك وضعهم ما ذاك في عرف ولا قرآن
لسنا نقر بلفظة موضوعة بالاصطلاح لشيعة اليونان
أو من تلقى عنهم من فرقة جهمية ليست بذي عرفان
من وصفه سبحانه بصفاته الـــعليا ويترك مقتضى القرآن
والعقل والفطرات أيضاً كلها قبل الفساد ومقتضى البرهان
سموه ما شئتم فليس الشأن في الـــأسماء بالألقاب ذات الشان
هل من دليل يقتضي إبطال ذا التـــركيب من عقل ومن فرقان
والله لو نشرت شيوخكم لما قدروا عليه لو أتى الثقلان

هذا هو القسم الخامس من أقسام التركيب عندهم ، وهو التركيب من ذات وصفات ، وهذا على اصطلاح اليونان ومن وافقهم من الجهمية ، وهو من أظهر الأمور بطلاناً ، وسيأتي إبطاله في كلام الناظم وقول الناظم : لسنا نقر بلفظة موضوعة الخ .. كذا في جميع ما رأينا من النسخ (نقر) بالقاف من الإقرار ، وصواب اللفظة (نفر) بالفاء أي : ليس نفر بسبب هذا الاصطلاح الذي اصطلحتموه ، من وصفه سبحانه بصفاته العليا ، والجار والمجرور وهو قوله : من وصفه ، متعلق بـ (نفر) والله أعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

والسادس التركيب من ماهية ووجودها ما ها هنا شيئان

الا اذا اختلف اعتبارهما فذا في الذهن والثاني ففي الأعيان

فهناك يعقل كون ذا غير لذا فعلى اعتبارهما هما غيران

أما اذا اتحدا اعتباراً كان نفـــس وجودها هو ذاتها لاثان

من قال شيئاً غير ذا كان الذي قد قاله ضرب من الفعلان

هذا وكم خبط هنا قد زال بالـــتفصيل وهو الاصل في العرفان

هذا هو القسم السادس من أقسام التركيب ، وهو التركيب من الوجود والماهية ، وحاصل كلام الناظم هنا أن الوجود والماهية اذا اختلف اعتبارهما فأخذ أحدهما ذهنياً ، والآخر خارجياً ، فالوجود غير الماهية ، وإن أخذا ذهنين ، فالوجود هو الماهية ، وكذا إن أخذا خارجيين ، فالوجود هو الماهية.

قوله : من الفعلان . هو بضم الفاء وإسكان العين ، يعني كلمة في وزن الفعلان ، كالبهتان ، والبطلان ، ونحوهما ، وهذا كما في قول المتنبي في رثاء أخت سيف الدولة ابن حمدان ، واسمها خولة

كأن فعلة لم تملأ مواكبها ديار بكر ولم تخلع ولم تهب

وذلك أن المتنبي لم يصرح باسمها استعظاماً لكونها ملكة ، بل كنى عن اسمها بفعلة ، فلفظ (فعلة) حكمها حكم موزونها ، ممتنع من الصرف للعلمية والتأنيث ، فكذا فعلة ممتنع . قـــال ابن جني : كنى بفعلة عن اسمها ، واسمها خولة

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وابن الخطيب وحزبه من بعده لم يهتدوا لمواقع الفرقان

بل خبطوا نقلاً وبحثاً أوجبا شكاً لكل ملدد حيران

هل ذات رب العالمين وجوده أم غيره فهما إذاً شيئان
فيكون تركيباً محالاً ذاك إن قلنا به فيصير ذا إمكان
واذا نفينا ذاك صار وجوده كالمطلق الموجود في الأذهان
وحكوا أقاويلاً ثلاثاً ذينك الـ ـأعلى وبين وجود ذي الإمكان
وسطوا عليها كلها بالنقض والـ إبطال والتشكيك للانسان

قوله : ابن الخطيب : يعني الفخر الرازي ، وهو محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن ابن علي ، العلامة سلطان المتكلمين ، صاحب التصانيف أبو عبد الله القرشي ، البكري ، التميمي ، الطبرستاني الأصل ، ثم الرازي ، ابن خطيبها المفسر ، امام وقته في العلوم العقلية ، وأحد الأئمة في العلوم الشرعية .

قال الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى : الفخر ابن الخطيب صاحب التصانيف ، رأس في الذكاء ، والعقليات ، ولكنه عري من الآثار ، وله تشكيكات على مسائل من أصول الدين تورث حيرة . وقال الحافظ ابن حجر في « لسان الميزان » مثل ماذكرنا عن الذهبي في شأنه ، وزاد أنه كان يقول مع تبحره في الأصول : من التزم دين العجائز فهو الفائز ، وكان يعاب ايراد الشبه الشديدة ، ويقصر في حلها ، حتى قال بعض المغاربة : يورد الشبهة نقداً ، ويحلها نسيئة ، وقد ذكره ابن دحية ، فمدح وذم ، وذكره ابو شامة ، فحكى عنه أشياء رديئة ، وذكر النجم الطوفي في « الاكسير في علم التفسير » ما ملخصه : مارأيت في التفاسير أجمع لغالب علم التفسير من القرطبي ، ومن تفسير الامام فخر الدين ، إلا أنه كثير العيوب ، فحدثني شرف الدين النصيبي عن شيخه سراج الدين السرمساجي المغربي ، أنه صنف كتاب « المأخذ » في مجلدين ، بين فيهما مافي تفسير الفخر من الزيف والبهرج ،

وكان ينقم عليه كثيراً . ويقول : يورد شبه المخالفين في المذهب والدين ، على غاية مايكون من التحقيق ، ثم يورد مذهب أهل السنة والحق على غاية من الوهن . قال الطوفي : ولعمري إن هذا دأبه في كتبه الكلامية ، حتى اتهمه بعض الناس ، ولكنه خلاف ظاهر حاله ، لأنه لو كان اختار قولاً أو مذهباً ، ما كان عنده من يخاف منه حتى يستتر عنه ، ولعل سببه أنه كان يستفرغ قواه في تقرير دليل الخصم ، فاذا انتهى الى تقرير دليل نفسه ؛ لايبقى عنده شيء من القوى ، ولا شك أن القوى النفسانية تابعة للقوى البدنية ، وقد صرح في مقدمة « نهاية العقول » أنه يقرر مذهب خصمه تقريراً لو أراد خصمه أن يقرره لم يقدر على الزيادة على ذلك . وذكر ابن خليل السكوني في كتاب « الرد على الكشاف » أن الامام الرازي ابن الخطيب قال في كتبه في الأصول . إن مذهب الجبر هو المذهب الصحيح . وقال في تفسير قوله تعالى (واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه) الأنفال : ٢٤ كلاماً يدل على أن مذهب الجبر هو الحق . حيث قال : وقد دللنا بالبراهين العقلية على صحة أن الأمر كذلك ، أي : العبد مجبور . نعوذ بالله من أمثال ذلك . وقال بصحة بقاء الأعراض ، وبنفي صفات الله الحقيقية ، وزعم أنها مجرد نسب وإضافات ، كقول الفلاسفة ، وسلك طريق أرسطو في دليل التمانع ، ونقل عن تلميذه التاج الأرموي أنه نظر في كلامه فهجره الى مصر ، وهموا به ، فاستتر . ونقل عنه أنه قال : عندي كذا وكذا مائة شبهة على القول بحدوث العالم ، ومنها ماقاله شيخه ابن الخطيب في آخر الأربعين ، والمتكلم يستدل على القدم بوجوب تأخر الفعل ، والفيلسوف يدل على قدمه باستحالة تعطل الفاعل عن أفعاله ، ثم أسند عن ابن الطباخ أن الفخر كان شيعياً يقدم محبة أهل البيت كمحبة الشيعة ، حتى قال في بعض تصانيفه : وكان علي

شجاعاً ، بخلاف غيره ، وعاب عليه تسميته لتفسيره « مفاتيح الغيب » ، ولمختصره في المنطق : « الآيات البينات » ، وتقريره لتلامذته في وصفه بأنه الامام المجتبى أستاذ الدنيا ، أفضل العالم ، فخر بني آدم ، حجة الله على الخلق ، صدر صدور العرب والعجم ، هذا آخر كلامه ، وقد مات الفخر سنة ست وستمائة بمدينة (هراة) وأوصى بوصية تدل على أنه حسن اعتقاده . انتهى عبارة « اللسان ». ومما قال فيه : إن له كتاب « السر المكتوم في مخاطبة النجوم » سحر صريح فلعله تاب من تأليفه إن شاء الله تعالى .

قلت : ولد في رمضان سنة أربع وأربعين وخمسمائة . وقيل : سنة ثلاث ، واشتغل أولاً على والده ضياء الدين عمر ، وهو من تلامذة البغوي ، على الكمال السمناني ، والمجد الجيلي صاحب محمد بن يحيى ، وأتقن علوماً كثيرة ، وبرز فيها وساد ، وقصده الطلبة من سائر البلاد ، وصنف في فنون كثيرة ، وكان له مجلس كبير في الوعظ ، يحضره الخاص والعام ، ويلحق فيه حال ووجد ، وجرت بينه وبين جماعة من الكرامية مخاصمات وفتن ، وأوذي بسببهم ، وكان ينال منهم في مجلسه ، وينالون منه . وكان إذا ركب مشى حوله نحو ثلاثمائة تلميذ فقهاء وغيرهم . وقيل : كان يحفظ « الشامل » لإمام الحرمين في الكلام ، وندم على دخوله في الكلام . وروي عنه أنه قال : لقد اختبرت الطرق الكلامية ، والمناهج الفلسفية ، فلم أجدها تروي غليلاً ، ولا تشفي عليلاً ، ورأيت أصح الطرق طريقة القرآن ، أقرأ في التنزيه (والله الغني وأنتم الفقراء) محمد : ٣٨ وقوله تعالى : (ليس كمثله شيء) الشورى : ١١ و (قل هو الله أحد) واقرأ في الاثبات (الرحمن على العرش استوى) طه : ٥ (يخافون ربهم من فوقهم) النحل : ٥٠ (إليه يصعد الكلم الطيب) فاطر : ١٠ واقرأ في أن الكل من عند الله (قل كل من عند الله) النساء : ٧٨ ثم قال :

وأقول من صميم القلب ، ومن داخل الروح : إني مقر بأن كل ماهو الأفضل الأعظم الأجل ، فهو لك ، وكل ماهو عيب أو نقص ، فأنت منزه عنه .

وكانت وفاته بـ (هراة) يوم عيد الفطر ، سنة ست وستمائة . قال أبو شامة : وبلغني أنه خلف من الذهب ثمانين ألف دينار سوى الدواب والعقار وغير ذلك .

ومن تصانيفه التفسير الكبير لم يتمه في اثني عشر مجلداً كباراً ، أسماه « مفاتيح الغيب » وكتاب « المحصول » و « المنتخب » و كتاب « الاربعين » و « نهاية العقول » و « التبيـــان » و « البرهان في الرد على أهل الزيغ والطغيان » « المباحث العمادية في المطالب المعادية » « تأسيس التقديس في تأويل الصفات » « ارشاد النظار الى لطائف الاسرار » « المعالم في أصول الدين » « المعالم في أصول الفقه » « شرح أسماء الله الحسنى » « شرح الاشارات » « الملخص في الفلسفة » ويقال : إنه شرح نصف « الوجيز » للغزالي ، وشرح « سقط الزند للمعري . وله طريقة في الخلاف ، وشرح « كليات القـــانون » وصنف في « مناقب الشافعي » رضي الله عنه ، الى غير ذلك ، ورزق السعادة في مصنفاته حتى انتشرت في الآفاق ، وأقبل الناس على الاشتغال بها .

وذلك أن الفخر الرازي وأتباعه حكوا للناس في وجود الرب تعالى ثلاثة أقوال :

أحدها : أن الوجود مقول بالاشتراك اللفظي فقط . والثاني : أن وجود الواجب زائد على ماهيته . والثالث : أنه وجود مطلق ليس له حقيقة غير الوجود المشروط بسلب كل ماهية ثبوتية .

قال شيخ الاسلام : فيقال لهم : الأقوال الثلاثة باطلة ، والقول الحق ليس واحداً من الثلاثة ، وانما أصل الغلط هو توهمهم أنا اذا قلنا : إن الوجود ينقسم الى واجب ، وممكن ، لزم أن يكون في الخارج وجود هو نفسه في الواجب ، وهو نفسه في الممكن ، وهذا غلط ، فليس في الخارج بين الموجودين

شيء هو نفسه فيها ، ولكن لفظ الوجود ومعناه الذي في الذهن ، والخط الذي يدل على اللفظ يتناول الموجودين ، ويعمهما ، وهما يشتركان فيه ، فشمول معنى الوجود الذي في الذهن لهما ، كشمول لفظ الوجود . والخط الذي يكتب به هذا اللفظ لهما ، فهما مشتركان في هذا ، فأما نفس مايوجد في الخارج ، فانما يشتبهان فيه من بعض الوجوه ، فاما أن تكون نفس هذا وصفته فيها شيء من ذات هذا وصفته ، فهذا مما يعلم فساده كل من تصوره ، ومن توقف فيه فلعدم تصوره له . وحينئذ فالقول في اسم الوجود كالقول في اسم الذات ، والعين ، والماهية ، والنفس ، والحقيقة ، وكما أن الحقيقة تنقسم الى حقيقة واجبة ، وحقيقة ممكنة ، وكذلك لفظ الماهية ، ولفظ الذات ، ونحو ذلك ، ، فكذلك لفظ الوجود . فاذا قلنا : ان الحقيقة ، أو الماهية ، تنقسم الى واجبة ، وممكنة ، لم يلزم أن تكون ماهية الواجب فيها شيء من ماهية الممكن ، فكذلك اذا قيل : الوجود ينقسم الى واجب ، وممكن ، لم يلزم أن يكون الوجود الواجب فيه شيء من وجود غيره ، بل ليس فيه وجود مطلق ، ولا ماهية مطلقة ، بل ماهيته هي حقيقته وهي وجوده . واذا كان المخلوق المعين وجوده الذي في الخارج هو نفس ذاته وحقيقته ، وماهيته التي في الخارج ليس فيه من الخارج شيئان ، فالخالق تعالى أولى أن تكون حقيقته هي وجوده الثابت الذي لا يشركه فيه أحد ، وهو نفس ماهيته التي هي حقيقته الثابتة في نفس الأمر . ولو قدر أن الوجود المشترك بين الواجب والممكن موجود فيها في الخارج ، وأن الحيوانية المشتركة هي بعينها في الناطق والأعجم ، كان يميز أحدهما عن الآخر بوجود خاص ، كما يتميز الانسان بحيوانية تخصه ، وكما أن السواد والبياض اذا اشتركا في مسمى اللون تميز أحدهما بلونه الخاص عن الآخر وهؤلاء ،

لضالون يجعلون الواحد اثنين ، والاثنين واحداً ، فيجعلون هذه الصفة هي هذه الصفة ، ويجعلون الصفة هي الموصوف ، فيجعلون الاثنين واحداً ، كما قالوا : إن العلم هو القدرة ، وهو الارادة ، والعلم هو العالم ، ويجعلون الواحد اثنين ، كما يجعلون الشيء المعين الذي هو هذا الانسان هو عدة جواهر : انسان ، وحيوان ، وناطق ، وحساس ، ومتحرك بالارادة ، ويجعلون كلا من هذه الجواهر غير الآخر . ومعلوم أنه جوهر واحد ، له صفات متعددة ، وكما يفرقون بين المادة ، والصورة ، ويجعلونهما جوهرين عقليين قائمين بأنفسهما ، وانما المعقول هو قيام الصفات بالموصوفات ، والأعراض بالجواهر ، كالصورة الصناعية ، مثل صورة الخاتم ، والدرهم ، والسرير ، والثوب ، فانه عرض قائم بجوهر ، هو الفضة ، والخشب ، والغزل . وكذلك الاتصال ، والانفصال ، قائمان بمحل هو الجسم ، وهكذا يجعلون الصورة الذهنية ثابتة في الخارج ، كقولهم في المجردات المفارقات للمادة ، وليس معهم مايثبت أنه مفارق ، لا النفس الناطقة اذا فارقت البدن بالموت ، والمجردات هي الكليات التي تجردها النفس من الأعيان المشخصة ، فيرجع الأمر الى النفس وما يقوم بها ، ويجعلون الموجود في الخارج هو الموجود في الذهن ، كما يجعلون الوجود الواجب هو الوجود المطلق ، فهذه الأمور من أصول ضلالهم ، حيث جعلوا مافي الخارج في الذهن ، ولزم من ذلك أن يجعلوا الثابت منتفياً ، والمنتفي ثابتاً ، فهذه الأمور من أجناس ضلالهم ، وهذا كله مبسوط في غير هذا الموضع . انتهى كلامه .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

حتى أتى من أرض أمدا آخراً ثور كبير بل حقير الشان

قال الصواب الوقف في ذا كله والشك فيه ظاهر التبيان

هذا قصارى بحثه وعلومه إن شك في الله العظيم الشان

الآمدي : هـو أبو الحسن علي بن علي بن محمد بن سالم الثعلبي ، سيف الدين ولد بآمد سنة ٥٥١ قرأ على مشايخ بلده القراآت ، وحفظ كتاباً على مذهب أحمد بن حنبل ، وبقي على ذلك مدة ، فكان في أول اشتغـــاله حنبلي المذهب ، انتقل الى مذهب الشافعي ، ثم رحل الى العراق ، وأقام في الطلب مدة ببغداد ، وحصل علم الجدل ، والخلاف ، والمناظرة ، ثم انتقل الى الشام ، واشتغل بفنون المعقول ، وحفظ منه الكثير ، وتمهر فيه ، ولم يكن في زمانه أحفظ منه لهذه العلوم ، وصنف في أصول الدين ، والمنطق ، والحكمة ، والخلاف . وكل تصانيفه مفيدة ، وكان قد أخذ علوم الأوائل من نصارى الكرخ ، ويهودها ، فاتهم لذلك في عقيـــدته ، ففر الى مصر خوفاً من الفقهاء سنة ٥٩٣ وناظر بها وحاضر ، وأظهر تصانيف في علوم الأوائل ، تعصبوا عليه فخرج من القـاهرة مستخفياً ، ثم استوطن حماة أو دمشق ، وتولى بها التدريس ومات فيها سنة ٦٣١ . ومن مصنفاته « الماهر في علوم الأوائل والأواخر » خمس مجلدات ، و كتاب « أبكار الأفكار في أصول الدين » أربع مجلدات ، و كتاب « دقائق الحقائق » في الفلسفة ، وقد دفن في سفح قاسيون ، وكانت ولادته سنة ٥٥١ والآمدي نسبة الى آمد ، وهي مدينة كبيرة في ديار بكر ، مجاورة لبلاد الروم .

قوله : آخراً . هو بكسر الخاء ، أي : آخر الأمر . أي أن الآمدي توقف في هذه المسألة ، ولم أطلع أنا على كلامه في هذه المسألة ، والله أعلم .

قـــال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في أحكام هذه التراكيب الستة

فالأولان حقيقة التركيب لا تعدوهما في اللفظ والأذهان
وكذلك الاعيان أيضاً إنما الـــتركيب فيها ذانك النوعان

أي : الأولان اللذان هما تركيب الامتزاج والاختلاط ، وتركيب الجواد أي : التركيب حقيقة في هذين النوعين .

قال الناظم رحمه الله تعالى .

والأوسطان هما اللذان تنازع الـــعقلاء في تركيب ذي الجثمان
ولهم أقاويل ثلاث قد حكيـــناها وبينا أتم بيـان

ولهم أقاويل ثلاث قد حكيناها وبيناها أتم بيان ؛ أي : التركيب من الجواهر المنفردة ، ومن المادة والصورة

والآخران هما اللذان عليهما دارت رحى الحرب التي تريان
أنتم جعلتم وصفه سبحانه بعلوه من فوق ذي الأكوان
وصفاته العليا التي ثبتت له بالنقل والمعقول ذي البرهان
من جملة التركيب ثم نفيتمُ مضمونها من غير ما برهـان

فجعلتم المرقاة للتعطيل هـــذا الاصطلاح وذا من العدوان
لكن إذا قيل اصطلاح حادث لاحجر في هذا على إنسان
فنقول نفيكم بهذا الاصـــطلاح صفاته هو أبطل البطلان
وكذاك نفيكم به لعلوه فوق السماء وفوق كل مكان
وكذاك نفيكم به لكلامه بالوحي كالتوراة والقرآن
وكذاك نفيكم لرؤيتنا له يوم المعاد كما يرى القمران
وكذاك نفيكم لسائر ماأتى في النقل من وصف بغير معان
كالوجه واليد والاصابع والذي أبداً يسوؤكم بلا كتمان
وبودكم لو لم يقله ربنا ورسوله المبعوث بالبرهان
وبودكم والله لما قاله أن ليس يدخل مسمع الانسان
قام الدليل على استناد الكون أجـــمعه الى خـــلاقه الرحمن
ماقام قط على انتفاء صفاته وعلوه من فوق ذي الأكوان
هو واحد في وصفه وعلوه ماللورى رب سواه ثان
فلأي معنى يجحدون علوه وصفاته بالفشر والهذيان
هذا وما المحذور الا إن يقا ل مـــع الإله لنا إله ثان
أو أن يعطل عن صفات كماله هذان محذوران محظوران
أما إذا ماقيل رب واحد أوصافه أربت على الحسبان

وهو القديم فلم يزل بصفاته متوحداً بل دائم الإحسان

أي : لامحذور في إثبات صفات الكمال لله سبحانه ، وإنه واحد لم يزل بصفاته إلهاً واحداً ، وانما المحذور أن يجعل مع الله إله آخر وتعطل صفات كماله ، فهذان كما قال الناظم : محذوران محظوران .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فبأي برهان نفيتم ذا وقلتم ليس هذا قط في الامكان
فلئن زعمتم أنه نقص فذا بهت فما في ذاك من نقصان
النقص في أمرين سلب كماله أو شركه بالواحد الرحمن
أتكون أوصاف الكمال نقيصة في أي عقل ذاك أم قرآن !؟
إن الكمال بكثرة الأوصاف لا في سلبها ذا واضح البرهان
ما النقص غير السلب حسب وكل نقص أصله سلب ، هذا واضح التبيان
فالجهل سلب العلم وهو نقيصة والظلم سلب العدل والاحسان
متنقص الرحمن سالب وصفه حقاً تعالى الله عن نقصان
وكذا الثناء عليه ذكر صفاته والحمد والتمجيد كل أوان
ولذاك أعلم خلقه أدراهم بصفاته من جاء بالقرآن
وله صفات ليس يحصيها سوا ه من ملائكة ولا انسان
ولذاك يثني في القيامة ساجدا لما يراه المصطفى بعيان

بثناء حمد لم يكن في هذه الـــدنيا ليحصيه مدى الازمان

وثناؤه بصفاته لا بالســلو ب كما يقول العادم العرفان

حاصل هذه الأبيات أنكم أيها المعطلة ، لماذا نفيتم الصفات ؟ فان زعمتم أنها نقص ، فهذا كذب وبهت ، وانما النقص في أمرين : اما سلب الكمال ، أو إثبات شريك لله تعالى ، وأما أوصاف الكمال ، فحاشا أن تكون نقصاً ، والكمال بكثرة الأوصاف لافي سلبها ، اذ السلب المحض لا كمال فيه ، الا إذا تضمن تنزيهاً عن نقص ، كما في سلب النوم ، والسنة ، واللغوب[1] والطعم عنه تعالى وتقدس

قال الناظم رحمه الله تعالى :

والعقل دل على انتهاء الكون أجـــمعه الى رب عظيم الشـــان

وثبوت أوصاف الكمال لذاته لايقتضي إبطال ذا البرهـان

والكون يشهد أن خالقه تعا لى ذو الكمال ودائم السلطان

وكذاك يشهد أنه سبحانه فوق الوجود وفوق كل مكان

وكذاك يشهد أنه سبحانه الـــمعبود لاشيء من الاكوان

وكذاك يشهد أنه سبحانه ذو حكمة في غاية الاتقان

وكذاك يشهد أنه ذو قدرة حي عليم دائم الاحسان

وكذاك يشهد أنه الفعال حـــقاً كل يوم ربنا في شان

وكذاك يشهد أنه المختار في أفعاله حقاً بلا نكران

---

(١) اللغوب : التعب والأعياء .

وكذاك يشهد أنه الحي الذي ما للممات عليه من سلطان

وكذاك يشهد أنه القيوم قا م بنفسه ومقيم ذي الاكوان

وكذاك يشهد أنه ذو رحمة وإرادة ومحبة وحنان

وكذاك يشهد أنه سبحانه متكلم بالوحي والقرآن

وكذاك يشهد أنه سبحانه الـــخلاق باعث هذه الأبدان

لاتجعلوه شاهداً بالزور والـــتعطيل تلك شهادة البطلان

واذا تأملت الوجود رأيته إن لم تكن من زمرة العميان

بشهادة الاثبات حقاً قائم لله لابشهادة النكران

وكذاك رسل الله شاهدة به أيضاً فسل عنهم عليم زمان

وكذاك كتب الله شاهدة به أيضاً فهذا محكم القرآن

وكذلك الفطر التي ماغيرت عن أصل خلقتها بأمر ثان

وكذا العقول المستنيرات التي فيها مصابيح الهدى الرباني

أترون أناتاركو ذا كله لشهادة الجهمي واليونان

هذي الشهود فان طلبتم شاهداً من غيرها سيقوم بعد زمان

إذ ينجلي هذا الغبار فيظهر الـــحق المبين مشـــاهداً بعيان

هذه الأبيات واضحة بحمد الله .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فاذا نفيتم ذا وقلتم إنه ملزوم تركيب فمن يلحاني
إن قلت لاعقل ولا سمع لكم وصرخت فيما بينكم بأذان
هل يجعل الملزوم عين اللازم المـ ـنفي هذا بيّن البطلان
فالشيء ليس لنفسه ينفي لدى عقل سليم ياذوو العرفان
قلتم نفينا وصفه وعلوه من خشية التركيب والامكان
لو كان موصوفاً لكان مركباً فالوصف والتركيب متحدان
أو كان فوق العرش كان مركباً فالفوق والتركيب متفقان
فنفيتم التركيب بالتركيب مع تغيير إحدى اللفظتين بثان
بل صورة البرهان أصبح شكلها شكلاً عقيماً ليس ذا برهان
لو كان موصوفاً لكان كذاك مو صوفاً وهذا حاصل البرهان
فاذا جعلتم لفظة التركيب بالـ ـمعنى الصحيح امارة البطلان
جئنا الى المعنى فخلصناه منـ ـها واطّرحناها اطّراح مهان
هي لفظة مقبوحة بدعية مذمومة منا بكل لسان
واللفظ بالتوحيد نجعله مكا ن اللفظ بالتركيب في التبيان
واللفظ بالتوحيد اولى بالصفا ت وبالعلو لمن له أذنان

هذا هو التوحيد عند الرسل لا أصحاب جهم شيعة الكفران

أي . أن الفلاسفة والجهمية يقولون : ان اثبات الصفات يلزم منه التركيب .

قال الناظم : فاذا نفيتم الصفات ، وقلتم إنه ملزوم التركيب ، فكيف تجعلون الملزوم الذي هو إثبات الصفات عين اللازم الذي هو إثبات الصفات ، فصار المعنى إثبات الصفات ، يستلزم إثبات الصفات ، فيجب نفسه ، فهم على هذا نفوا التركيب بالتركيب ، فاذا نفوا التركيب بكونه تركيباً ، ففيه إبطال الشيء بنفسه ، وهو محال ، فان الشيء لاينفيه عينه ،

قال الناظم : بل صورة البرهان أصبح شكلها شكلاً عقيماً ليس ذا برهان

وحاصل ما أبطلوا به إثبات الصفات ، بأن المعنى لو كان موصوفاً ، لكان موصوفا ، فتأمل قوله : فاذا جعلتم لفظة التركيب الخ . أي : إذا جعلتم لفظة التركيب امارة البطلان خلصنا المعنى الصحيح منها ، واطرحنا تلك اللفظة ، وهي لفظة التركيب ، لأنها لفظة مقبوحة بدعية مذمومة ، وأبدلنا ، وكأنها التوحيد ، لأنه أولى بالصفات وبالعلو ، وهذا هو التوحيد عند الرسل وأتباعهم ، لا أصحاب جهم شيعة الكفران ، والله أعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في أقسام التوحيد والفرق بين توحيد المرسلين وتوحيد النفاة المعطلين

فاسمع إذاً أنواعه هي خمسة قد حصلت أقسامها ببيان

توحيد أتباع ابن سينا وهو منـــسوب لآرسطو من اليونان

ما للاله لديهم ماهيـــة غير الوجود المطلق الواجدان

مسلوب أوصاف الكمال جميعها لكن وجود حسب ليس بفان

ما إن له ذات سوى نفس الوجو د المطلق المسلوب كل معان

فلذاك لاسمع ولا بصر ولا علم ولا قول من الرحمـن

ولذاك قالوا ليس ثم مشيئة وإرادة لوجود ذي الأكوان

بل تلك لازمة له بالذات لم تنفك عنه قط في الأزمان

ما اختار شيئاً قط يفعله ولا هذا له أبداً بذي إمكان

وبنوا على هذا استحالة خرق ذا الـــ أفلاك يوم قيامة الأبدان

ولذاك قالوا ليس يعلم قط شيئاً ما من الموجود في الأعيان

لايعلم الأفلاك كم أعدادها وكذا النجوم وذانك القمران

بل ليس يسمع صوت كل مصوّت كلا وليس يراه رأي عيان

بل ليس يعلم حالة الانسان تفـــصيلا من الطاعات والعصيان

كلا ولا علم له بتساقط الـــأوراق أو بمنابت الأغصان

علماً على التفصيل هذا عندهم عين المحال ولازم الامكان

بل نفس آدم عندهم عين المحا ل ولم يكن في سالف الأزمان

مازال نوع الناس موجوداً ولا يفنى كذاك الدهر والملوان

هذا هو التوحيد عند فريقهم مثل ابن سينا والنصير الثاني

قالوا وألجأنا الى ذا خشية الـــتركيب والتجسيم ذي البطلان

ولذاك قلنا ماله سمع ولا بصر ولا علم فكيف يدان ؟

وكذاك قلنا ليس فوق العرش إلا المستحيل وليس ذا إمكان

جسم على جسم كلا الجسمين محـــدود يكون كلاهما صنوان

فبذاك حقاً صرحوا في كتبهم وهم الفحول أئمة الكفران

ليسوا مخانيث الوجود فلا إلى الـــكفران ينحازوا ولا الايمان

والشرك عندهم ثبوت الذات والـــ أوصاف إذ يبقى هناك اثنان

غير الوجود فصار ثم ثلاثة فلذا نفينا اثنين بالبرهان

نفي الوجود فلا يضاف اليه شي ء غيره فيصير ذا امكان

قال الناظم : في « الصواعق »[1] في بيان توحيد الفلاسفة : هو إنكار ماهية الرب الزائد على وجوده ، وانكار صفات كماله ، وأنه لاسمع له ، ولا بصر ، ولا قدرة ، ولا حياة ، ولا ارادة ، ولا كلام ، ولا وجه ، ولا يدين ، وليس فيه معنيان يتميز أحدهما عن الآخر البتة ، قالوا : لأنه لو كان كذلك لكان مركباً ، وكان جسماً مؤلفاً ، ولم يكن واحداً من كل وجه ، فجعلوه من جنس الجوهر الفرد الذي لايحس ولا يرى ،

---

(١) هو « الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة »

ولا يتميز منه جانب عن جانب ، بل الجوهر الفرد يمكن وجوده ، وهذ الواحدالذي جعلوه حقيقة رب العالمين يستحيل وجوده ، وقالوا : لو كان له صفة ، أو كلام ، أو مشيئة ، أو علم ، أو حياة ، أو قدرة ، أو سمع ، أو بصر ، لم يكن واحداً ، و كان مركباً مؤلفاً ، فسموا أعظم التعطيل بأحسن الأسماء ، وهو التوحيد ، وسموا أصح الأشياء ، وأحقها بالثبوت وهو صفات الرب بأقبح الأسماء ، وهو التركيب والتأليف ، فتولد من بين هـذه التسمية الصحيحة للمعنى الباطل جحد حقائق أسماء الرب وصفاته ، بل وجحد ماهيته وذاته ، وتكذيب رسله ، ونشأ من نشأ على اصطلاحهم ، مع إعراضه عن استفادة الهدى والحق من الوحي ، فلم يعرف سوى الباطل الذي اصطلحوا عليه ، فجعلوه أصلاً لدينه ، فلما رأى ماجاءت به الرسل بعارضه ، قال : إذا تعارض العقل والنقل ، قدم العقل . انتهى كلامه

قوله : بل نفس آدم عندهم عين المحال ؛ أي : أن نوع الانسان لم يزل ولا يزال ، فلا بداية له ، ولا نهاية ، فلم يوجد آدم فضلاً عن أن يكون النوع الانسانى نسلاً له .

قـــوله : والشرك عندهم ثبوت الذات والأوصاف الخ ؛ أي : أنهم يقولون : إذا أثبتنا ذاتاً وصفات ، ووجوداً ، لزم التركيب ، فلهذا نفينا اثنين بالبرهان ، فيبقى الوجود فقط ، فوجود الرب عندهم وجود مطلق ، كما تقدم ذلك في كلام الناظم ، والله أعلم .

فصل

في النوع الثاني من أنواع التوحيد لأهل الالحاد

هذا وثانيها فتوحيد ابن سبـــــعين وشيعته أولي البهتان
كل اتحادي خبيث عنده معبوده موطوؤه الحقان
توحيدهم إن الاله هو الوجو د المطلق المثبوت في الأعيان
هو عينها لاغيرها ماهاهنا رب وعبد كيف يفترقان
لكن وهم العبد ثم خياله في ذي المظاهر دائماً يلجان
فلذاك حكمها عليه نافذ فابن الطبيعة ظاهر النقصان
فاذا تجرد علمه عن حسه وخياله بل ثم تجريدان
تجريده عن عقله أيضاً فان العقل لايدنيه من ذا الشان
بل يخرق الحجب الكثيفة كلها وهما وحساً ثم عقل وان
فالوهم منه وحسه وخياله والعلم والمعقول في الأذهان
حجب على ذا الشان فاخرقها و الا كنت محجوباً عن العرفان
هذا وأكثفها حجاب الحس والـــــمعقول ذانك صاحب الفرقان
فهناك صرت موحداً حقاً ترى هذا الوجود حقيقة الديان

والشرك عندهمُ فتنويع الوجو د وقولنا إن الوجود اثنان
واحتج يوماً بالكتاب عليهم شخص فقالوا الشرك في القرآن
لكنما التوحيد عند القائلـ ـين بالاتحاد فهم أولو العرفان
رب وعبد كيف ذاك وانما ال موجود فرد ماله من ثان

هذا هو النوع الثاني من انواع التوحيد للملحدين، وهو توحيد الوجودية القائلين بوحدة الوجود، لعنهم الله تعالى، وقد بينا مذاهبهم عند ذكر ركبهم في أول هذا النظم، ونشير الى ذلك هنا بعض الاشارة، فالتوحيد عندهم كما قال الناظم :[1] إن الاله هو الوجود المطلق الثبوت في الأعيان، وإنه عينها لاغيرها، وإنه ليس ثم عبد ورب، بل الرب هو العبد، والعبد هو الرب، كما قال صاحب « الفتوحات المكية » في أولها :

الرب حق والعبد حق ياليت شعري من المكلف
إن قلت عبد فذاك ميت أوقلت رب أنى يكلف ؟

قالوا : ولكن الوهم والخيال يلجآن دائماً في المظاهر، فاذا تجرد الانسان عن العلم، والعقل، والحس، والوهم، والخيال، حصل له هذا العرفان، وأكشفها حجاب الحس والمعقول، فاذا خرق هذه الحجب، صار موحداً حقاً يرى هذا الوجود حقيقة الديان، تعالى الله عن إفك الزائغين والملحدين علواً كبيراً،

قوله : واحتج يوماً بالكتاب عليهم الخ . . الذي قال هذا الكلام، هو

---

(١) أي : حاكياً مقالتهم .

العفيف التلمساني ، لعنه الله تعـــالى . فقد ذكر شيخ الاسلام ، والذهبي وغيرهما عنه أنه لما قرأ عليه « الفصوص » قيل له : القرآن يخالف فصوصكم . فقال: القرآن كله شرك ، وإنما التوحيد في كلامنا . فقيل له : فما بال نكاح البنت والأخت والأم حرام ؟ فقال . هو عندنا حـــلال ، ولكن هؤلاء المحجوبون قالوا : حرام ، فقلنا: حرام عليكم ، نعوذ بالله من موجبات غضبه ، وأليم عقـــابه . والشرك عند هؤلاء ، هو تنويع الوجود ، وأن يقال : الوجود اثنان .

فصل

في النوع الثالث من أنواع التوحيد لأهل الالحاد

هذا وثالثها هو التوحيد عنـــد الجهم تعطيل بلا إيمـان
نفي الصفات مع العلو كذاك نفـــي كلامه بالوحي والقرآن
فالعرش ليس عليه شيء بتة لكنه خلو من الرحمـــن
مافوقه رب يطاع ولا عليـــه للورى من خالق رحمن
بل حظ عرش الرب عند فريقهم منه كحظ الأسفل التحتاني
فهو المعطل عن نعوت كماله وعن الكلام وعن جميع معان
وانظر الى ماقد حكينا عنه في مبدا القصيد حكاية التبيـان

هذا هو التوحيد عندفريقهم تلو الفحول مقدمي البهتان
والشرك عندهم، فاثبات الصفا ت لربنا ونهاية الكفران
إن كان شركاً ذا وكل الرسل قد جاؤوا به ياخيبة الانسان

هذا وثالثها هو التوحيد عند الجهم تعطيل بلا إيمان

وقد تقدم شرح مذهبهم وأتباعه في الصفات والعلو والقرآن نا أغنى عن إعادته في اول هذا النظم .

فصل

في النوع الرابع من أنواعه

هذا ورابعها فتوحيد لدى جبريّهم هو غاية العرفان
العبد ميت ماله فعل ولـ ـكن ماترى هر فعل ذي السلطان
والله فاعل فعلنا من طاعة ومن الفسوق وسائر العصيان
هي فعل رب العالمين حقيقة ليست بفعل قط للانسان
فالعبد ميت وهو مجبور على أفعاله كالميت في الأكفان
وهو الملوم على فعال إلهه فيه وداخل جاحم النيران
ياويحة المسكين مظلوم يرى في صورة العبد الظلوم الجاني
لكن نقول بأنه هو ظالم في نفسه أدباً مع الرحمن

هذا هو التوحيد عند فريقهم ... من كل جبري خبيث جنان
والكل عند غلاتهم طاعاتنا ... ما ثم في التحقيق من عصيان
والشرك عندهم اعتقادك فاعلاً ... غير الإله المالك الديان
فانظر إلى التوحيد عند القوم ما ... فيه من الإشراك والكفران
ما عندهم والله شيء غيره ... هاتيك كتبهم بكل مكان
أترى أبا جهل وشيعته رؤوا ... من خالق ثان لذي الأكوان
أم كلهم جمعا أقروا أنه ... هو وحده الخلاق للانسان
فاذا ادعيتم أن هذا غاية التـ ... ـوحيد صار الشرك ذا بطلان
فالناس كلهم أقروا أنه ... هو وحده الخلاق ليس اثنان
إلا المجوس فانهم قالوا بأن الشرك خالقه إله ثان

وقد تقدم الكلام في ذلك أول هذا الشرح بما أغنى عن الاعادة

فصل

في توحيد الانبياء والمرسلين ومخالفته لتوحيد الملاحدة والمعطلين

فاسمع إذاً توحيد رسل الله ثم اجعله داخل كفة الميزان
مع هذه الأنواع وانظر أيها ... أولى لدى الميزان بالرجحان